

الصحابة وغزوة تبوك

إعداد

علي بن عائش المزيني

من ٢١٥٧ إلى ٢٢١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

هذه دراسة بعنوان (الصحابة وغزوة تبوك) ، الغرض منها استظهار فضائل أصحاب النبي ﷺ ، من خلال غزوة تبوك ، والباحث عليها تطاول أقوام على مقام أصحاب النبي ﷺ لم يبلغوا مد أحدهم ولا نصيفه .

وغزوة تبوك مع أنه لم يحصل فيها قتال فهي من أكثر مناسبات السيرة التي يمكن أن تفصح عن معادن الرجال الذين شاركوا فيها وفضائلهم وتضحياتهم ؛ لكثرة التحديات التي واجهتهم فيها.

ومما يزيد أهميتها أنها آخر غزوة غزاها النبي ﷺ^(١) ، وأقصى مكان وصله ، وفيها مكث أطول مدة في غزاة .

كما جاءت حداً فاصلاً بين مرحلتي النبوة والخلافة ، ومنطلقاً لفتوح بلاد الشام ، واصمة أقدام المسلمين على أول خطوات المرحلة القادمة .

كما جاءت فرزاً وتمحيصاً لصفوف المسلمين ، وتطهيراً للمجتمع المسلم من دنس النفاق والمنافقين ، وفيها تلقى أصحاب النبي ﷺ آخر درس عملي من دروس الجهاد .

انتظمت الدراسة في المباحث التالية :

التعريف بالصحابة ، ثم أعداد الصحابة في غزوة تبوك وأصنافهم ، ثم ظروف المشاركة في الغزوة ؛ الظروف السياسية ، والجغرافية ، والمناخية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، ثم الاستجابة لنداء الاستعداد والتهيؤ للغزوة ، ثم المساهمة في تجهيز الجيش

(١) ابن هشام ، السيرة ٤/ ١٩٩ .

، ثم في أعداد الذين تخلفوا وفناقم ، ثم في بعض أصحاب المهام في الغزوة ، ثم فضائل بعض أصحاب النبي ﷺ التي ظهرت في الغزوة ، ثم في الذين استشهدوا في الغزوة ، ثم الأجور والحسنات التي خص الله بها أهل غزوة تبوك ، وأخيراً الموقف من أصحاب غزوة تبوك .

هذا ولم أدقق كثيراً في صحة الروايات التاريخية التي لم تتعرض لأحكام شرعية أو عقيدة ، واعتبرت موافقتها لسياق الأحداث التاريخية ، وتناغمها مع تعاليم الإسلام وقيمه ، ومع الأعراف والمبادئ السائدة ، وعدم معارضتها لصحيح المنقول والمعقول ، وإمكانية قبولها في العقل والفطرة ، كافياً لنشأة دراسة علمية عليها .

التعريف بالصحابية :

الصحابية مفهوم واسع ، اختلف في تحديده بدقة ، فتوسع في تعريفه أقوام ، وقيده آخرون ، والجمهور على أن كل من صحب النبي ﷺ سنة ، أو شهراً ، أو يوماً ، أو رآه ، مؤمناً به ، ومات على الإسلام ، فهو من أصحابه ﷺ ، له من الصحبة بقدر ذلك^(١) .

واستناداً إلى قوله تعالى : ﴿لَا يَسْتَوِي مَنْ كَرَّمَ مِنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُولَئِكَ

أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

﴿١٠﴾^(٢) ، فقد قسم العلماء الصحابة إلى طبقات ، بحسب سابقتهم في الإسلام ،

(١) ابن عبد البر ، الاستيعاب ١/ ٤٧ ، ٤٨ . وابن الأثير ، أسد الغابة ١/ ١١ ، ١٢ . وابن تيمية ، الصارم المسلول ٥٧٥ ، ٥٧٦ . وابن حجر ، الإصابة ٤/ ١ . والسيوطي ، تدريب الراوي ١٨٦ . وعبد المحسن العباد ، الانتصار للصحابة الأخيار ٣٢ . وفاروق حمادة ، في تحقيقه لكتاب (فضائل الصحابة) للنسائي

فجعلهم ابن سعد وتابعه ابن الجوزي خمس طبقات : بدأ بمن شهد بدرًا ، ثم من لهم إسلام قديم ولم يشهدوا بدرًا وشهدوا أحداً ، ثم من أسلم قبل فتح مكة ، ثم مسلمة الفتح ومن أسلم بعدهم ، وأخيراً من توفي رسول الله ﷺ وهم أحداث^(١).

وقسمهم ابن حبان والحاكم إلى اثني عشرة طبقة ، وهو المشهور ، على النحو التالي : الأولى أوائل المسلمين من أهل مكة : كالخلفاء الأربعة . والثانية الذين أسلموا قبل تشاور أهل مكة في دار الندوة . والثالثة مهاجرة الحبشة . والرابعة أصحاب العقبة الأولى . والخامسة أصحاب العقبة الثانية . والسادسة أوائل المهاجرين وصولاً إلى بقاء ، قبل دخول النبي ﷺ المدينة . والسابعة أصحاب بدر . والثامنة المهاجرون إلى المدينة بين بدر والحديبية . والتاسعة أهل بيعة الرضوان . والعاشر المهاجرون إلى المدينة بين الحديبية وفتح مكة . والحادية عشرة مسلمة الفتح . والثانية عشرة الصبيان والأطفال الذين رأوا الرسول ﷺ في فتح مكة ، وحجة الوداع^(٢).

ولحفظ أسماء الصحابة ، وتمييزها ، وصيانتها من الدخيل عني العلماء منذ وقت مبكر بتأليف المصنفات المتخصصة في هذا الشأن ، من أقدمها كتاب "فضائل الصحابة" للإمام أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، وكتاب "الطبقات الكبرى" لابن سعد (ت ٢٣٠هـ) . وكتاب : "الاستيعاب" لابن عبد البر (ت ٤٠٠هـ) ، وكتاب "أسد الغابة" لابن الأثير (ت ٦٣٠هـ) ، وكتاب "الإصابة" لابن حجر (ت ٨٥٢هـ) .

(١) السلمي ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ٣٧١ حاشية رقم (٧) . وانظر : مقدمة إحسان عباس لكتاب الطبقات لابن سعد ١٢/١ . وفرائز روزنثال ، علم التاريخ عند المسلمين ١٣٣ . وأحمد عمر هاشم في تعليقه على تدريب الراوي للسيوطي ١٩٥ .

(٢) انظر : السيوطي ، تدريب الراوي ١٩٥ ، وانظر معه تعليق محقق الكتاب أحمد عمر هاشم . وانظر : مسعد عبد الحميد السعدي ، في تحقيقه لكتاب (أسماء الصحابة) لابن حزم ، ١٢ . وفاروق حمادة ، في تحقيقه لكتاب (فضائل الصحابة) للنسائي ، ١٨ .

وعد العلماء من علامات معرفة الصحابي (المعاصرة) ، وهي تمتد مائة وعشر سنين من هجرة النبي ﷺ ؛ استناداً إلى حديث صحيح عن النبي ﷺ يفيد أنه لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة من هو عليها اليوم أحد ، ثم تنتفي بعدها المعاصرة ؛ ولهذا لم يصدق الأئمة جماعة ادعى كل منهم الصحبة^(١).

وقد اختلف في جملة الصحابة ، فقليل : ستون ألفاً^(٢). وقيل : يزيدون على المائة ألف^(٣). وقيل : مائة وأربعة عشر ألفاً^(٤). وقيل : مائة وأربعة وعشرون ألفاً^(٥).

وسبب الاختلاف يعود من جهة إلى أن الاهتمام بتدوين الشريعة والقرآن والحديث شغل عن تدوين أسماء الصحابة ، فضاغ كثير منها ، وهو ما أدى إلى تفاوهم في العلم بهم ، وصار كل يكتب بحسب مبلغه من العلم . ويعود من جهة أخرى إلى اختلافهم في تعريف الصحابي .

وعلى كل الأحوال فإن مصنفات الصحابة التي بين أيدينا اليوم لم تحفظ لنا سوى عشر أعدادهم تقريباً ﷺ^(٦).

أعداد الصحابة في غزوة تبوك وأصنافهم :

انعكست صورة معرفتنا لعموم الصحابة على معرفتنا بالذين شاركوا منهم في غزوة تبوك ، فرغم كثرة من شارك فيها ، حتى كان يظن من يريد أن يتغيب ألا يفتن له

(١) ابن حجر ، الإصابة ٦/١ .

(٢) أحمد عمر هاشم ، في تحقيقه لكتاب (تدريب الراوي) للسيوطي ١٩٥ .

(٣) ابن حجر ، الإصابة ٣/١ .

(٤) السيوطي ، تدريب الراوي ١٩٤/٢ .

(٥) المباركفوري ، الرحيق المختوم ٥١٦ .

(٦) ابن حجر ، الإصابة ٢/١ ، ٣ .

من كثرتهم^(١)، وكان الناس إذا رحلوا عند ميل الشمس ، لم ير حل آخرهم إلا مساء^(٢) .
وهم يقدرون بحوالي ثلاثين ألفاً ، وقيل أكثر ، وقيل أقل ، والجمع بينها متيسر^(٣) . وكان معهم عشرة آلاف فرس^(٤) ، واثنا عشر ألف بعير ، وقيل خمسة عشر ألفاً^(٥) .

إلا أننا للأسف لا نستطيع أن نسمي إلا أقل القليل منهم ، فقد تبين أن المصادر التاريخية تعاني من شح المادة التاريخية ، فلم تسعفنا إلا بالقليل من المعلومات عن الغزوة ، مع أنها تكفلت بتغطية كافة جوانبها ، إلا أنها فقط رسمت خطوطها العريضة ، وملامحها العامة ، دون الحصول على معلومات مفصلة إلا في القليل النادر .

ولا شك أن اجتماع الجيش في المدينة لم يأت دفعة واحدة ، وإنما جاء تباعاً ، مع تزايد أعداد الواصلين الراغبين في المشاركة ؛ فإن المدينة تعجز عن استيعاب هذا العدد دفعة واحدة ، ولو لفترة محدودة ، وخاصة إذا ما أخذنا بعين الاعتبار أن سكان المدينة وصلوا بحسب إحدى الدراسات في العام العاشر الهجري إلى ثلاثين ألف نسمة^(٦) . ما يعني أن عددهم قبل حوالي عام واحد كان قريباً من هذا العدد . فإذا أضيف إليه ما في البيوت من النساء والذرية كان العدد أضعافاً مضاعفة .

ومن جهة أخرى فقد التحق بالجيش عدد من أهل البوادي ، وهم على قسمين :
من كانت منازلهم بين المدينة وتبوك ، فهؤلاء حتماً سيتظرون مرور الجيش بديارهم ثم

(١) البخاري ، الصحيح مع الفتح ٧/٧١٧ (٤٤١٨) . ومسلم ، الصحيح ٤/٢١٢٠ (٢٧٦٩) .

(٢) الواقدي ، المغازي ٣/٩٩٦ .

(٣) انظر : السندي ، الذهب المسبوك ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ . وأكرم العمري ، المجتمع المدني (الجهاد ضد

المشركين) ٢٣٦ ، ٢٣٧ . ومهدي أحمد ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ٦٢٣ ، ٦٢٤ .

(٤) الواقدي ، السابق ٣/١٠٠٢ .

(٥) الواقدي ، السابق ٣/١٠٤١ .

(٦) عبد الباسط بدر ، التاريخ الشامل ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

يلتحقون به من هناك . أما من كانت منازلهم دون المدينة ، والمدينة على طريقهم إلى تبوك ، فهؤلاء لابد من التحاقهم بالجيش في المدينة ، إلا أننا لا نعرف بالتحديد أعداد الذين شاركوا منهم والذين تخلفوا .

ومن هنا يكون عدد الثلاثين ألف الذي شارك في غزوة تبوك هو العدد الذي وصل إلى تبوك ، وليس الذي اجتمع في المدينة وانطلق منها .

لم يكن الصحابة الذين شاركوا في غزوة تبوك على درجة واحدة من الصحة ، وإنما كانوا على درجات متفاوتة ؛ فيهم المهاجرون والأنصار أهل السابقة ، وفيهم من أسلم بعد الحديبية ، والأغلبية الساحقة من مسلمة الفتح وما بعده ، كما كان يخالط الصحابة عدد من منافقي الأوس والخزرج ، ومنافقي الأعراب حول المدينة .

ويبدو أن أهل الصفة كانوا يشكلون نسبة لا بأس بها من الجيش ، فقد كثرت أعدادهم ، مع تدفق المهاجرين إلى المدينة ، بعد فتح مكة في العام الثامن ، ونظراً لفقرتهم ، وعدم ارتباطهم بالتزامات أسرية أو مهنية ، فقد كانوا يشكلون عنصراً رئيساً في جيوش الغزو ، وكان النبي ﷺ ينفق عليهم مما يأتيه من مال الصدقة ، كما يبعث إليهم المسلمون بما يزيد عن حاجتهم . وإذا حضر غزو عمد المسلمون إليهم فاحتمل الرجل منهم بشبعه ؛ فجهزوه ، وغزوا معهم ، واحتسبوا عليهم^(١) .

ظروف المشاركة في الغزوة :

لإلقاء الضوء على مواقف الصحابة من غزوة تبوك بصورة صحيحة لا بد من معرفة الظروف التي سبقت الغزوة ، وأثرت على المشاركة فيها .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٠٨/١ . نقلاً عن السندي ، الذهب المسبوك ٧٥ ، ١٩٣ وضعف إسناده ، وعزاه لمغازي ابن عائد . وانظر : الهندي ، كمر العمال ٤٢٧/٢ (٤٤١٨) من طريق ابن عساكر ، ٥٦٣/١٠ (٣٠٢٤٩) من طريق ابن عساكر .

الظروف السياسية :

وقعت غزوة تبوك كما قال ابن كثير : " امتثالاً لقوله تعالى ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا

قَتِيلُوا الَّذِينَ يَكُونُكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ

﴿١٣٣﴾^(١)، ولقوله تعالى ﴿قَتِيلُوا الَّذِينَ لَا يَبُذُّونَ بَالَهُ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُجَرِّمُونَ

مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا

الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾^(٢)، وغزاها ليقنص ويتقمم من قتل أهل مؤتة من

أصحابه والله أعلم"^(٣).

فكان العدو المستهدف في غزوة تبوك (الروم) وحلفاؤهم من نصارى

العرب^(٤)، وهم أعنى القوى السياسية والعسكرية في ذلك الوقت ، وأكثرها عدداً ،

وعدة ، وتنظيماً ، وقد أصبح هؤلاء يراقبون القوة الناشئة على حدودهم الجنوبية ، بعد

لقائهم الأول في مؤتة^(٥)، ويتطلعون إلى تأديب المسلمين^(٦)، مدفوعين بهاجس تأثير

حلفائهم العرب بالمسلمين ، وانضمامهم إليهم ؛ فقبائل قضاة من بلي ، وغُدرة ،

وبلقين ، وسعد ، وهذيل ، وطى ، وغيرها ، التي تسكن تبوك تشكل امتداداً لعرب

^(١) التوبة (١٢٣).

^(٢) التوبة (٢٩) .

^(٣) التفسير ٥٣/٣ .

^(٤) مسلم ، الصحيح ٢١٢٠/٤ (٢٧٦٩) .

^(٥) ابن هشام ، السيرة ٤٢٧/٣ .

^(٦) الواقدي ، المغازي ٩٨٩ / ٣ ، ٩٩٠ . وابن سعد ، الطبقات ١٦٥/٢ .

الجزيرة ؛ الحجاز ، ونجد ، وقنامة ، واليمن ، وتربطهم بهم صلات نسب ، وعلاقات تجارية وثقافية^(١) .

ولم يكن المسلمون ليأمنوا جانبهم ، ويغفلوا عنهم ، بعد لقائهم في مؤتة ، فكانوا يترقبون ردود أفعالهم في كل لحظة^(٢) .

ومع أن الغزوة حققت أهدافها ، ولم يلق النبي ﷺ فيها كيداً^(٣) ، وحاز بعض الغنائم^(٤) ، وصالح أهل أيلة ، وجرباء ، وأذرح ، ودومة الجندل^(٥) ، فإنه لم يجاوز تبوك إلى

ماوراءها من أرض الشام^(٦) ، ولو جاوزها لربما كان اندفاعاً غير محسوب العواقب . ومن جهة ثانية فقد كانت تبوك تشكل موقعاً استراتيجياً ؛ فهي تقع أدنى أرض الشام ، وأقصى أرض الحجاز^(٧) ، وتمثل امتداداً جغرافياً وسكانياً للجزيرة العربية^(٨) في

(١) محمد أمخزون ، البعد الاستراتيجي للخطبة النبوية في مواجهة الروم :

<http://www.suwaidan.com/vb1/showthread.php?t=١٢٧٧٣>

(٢٠١١/٧/٩) (٩:١٧ ص) .

(٢) انظر: البخاري ، الصحيح مع الفتح ١٣٧/٥ (٢٤٦٨) .

(٣) البلاذري ، فتوح البلدان ٧١ . والمقرئزي ، إمتاع الأسماع ٣٩١/٨ .

(٤) ابن هشام ، السابق ١٦٩/٤ . وابن كثير ، البداية والنهاية ١٧/٥ . والمقرئزي ، إمتاع الأسماع ٩٧/٥ . والخلي ، السيرة ١١٩/٣ .

(٥) ابن هشام ، السيرة ١٦٩/٤ ، ١٧٠ .

(٦) ابن هشام ، السيرة ١٧٠/٤ . والواقدي ، المغازي ١٠١٩/٣ . والخلي ، السيرة ١١٩/٣ .

(٧) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ١٤/٢ ، ١٥ .

(٨) محمد أمخزون ، البعد الاستراتيجي للخطبة النبوية في مواجهة الروم

<http://www.suwaidan.com/vb1/showthread.php?t=١٢٧٧٣>

(٢٠١١/٧/٩) (٩:١٧ ص) .

بلاد الشام ، وحلقة وصل بينهما ، ويمكن لها أن تكون مركزاً جيداً للإمداد والتموين العسكري ، ومنطلقاً للفتح الإسلامي لبلاد الشام ، وهو ما تم بالفعل لاحقاً .

الظروف الجغرافية والمناخية :

تبعد تبوك عن المدينة ما يقرب من ثمانمائة كيلاً^(١) ، وهي مسافة بعيدة ؛ ومن هنا كان الوصول إليها شاقاً ، ووعورة الطريق متحققة . تتخللها الأودية ، والجبال ، والوهاد ، والصخور ، والسباع ، والهوام ؛ ولهذا حث النبي ﷺ فيها على اتخاذ النعال ؛ وأخبر أن المرء لا يزال راكباً مادام متنعلاً^(٢) ، واتخذ ﷺ علقمة بن الفغواء الخزاعي دليلاً^(٣) .

وكان الجيش يقطع في اليوم مابين خمسين وستين كيلاً ، بناءً على أنه نزل في الطريق خمسة عشر منزلاً^(٤) ، واستغرق ذهابه خمسة عشر يوماً ، وإيابه مثله ، خرج في رجب من العام التاسع الهجري ، وعاد في رمضان ، ومكث في تبوك عشرين يوماً ، فجميع الوقت الذي استغرقته الغزوة نحواً من شهرين^(٥) ، وإذا أضيف إليها فترة الاستعداد والتجهيز قاربت الثلاثة أشهر ، مما يشير إلى سوء الأحوال الجغرافية التي وقعت فيها هذه الغزوة .

(١) الواقدي ، المغازي ٩٩٩/٣ . والبلادي ، معجم المعالم الجغرافية ٥٩ . وتبوك اليوم مدينة من مدن شمال المملكة العربية السعودية ، تقع على الحدود السعودية الأردنية . وقد اختلف فيمن سمى المكان بهذا الاسم ، ف قيل : سماه به النبي ﷺ . وقيل كان معروفاً قبله . والآثار التي يمتنع بها كل فريق واحدة ، والحقيقة أنها ليست قطعية الدلالة ، وتحمل الوجهين ، وإن كان بعضها صحيحاً ثابتاً . انظر : مسلم ، الصحيح ، ١٧٨٤/٤ (٧٠٦) . وابن حجر ، فتح الباري ٧١٤/٧ . وعبد القادر السندي ، الذهب المسبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك ٣٨-٤٢ . وأكرم العمري ، المجتمع المدني (الجهاد ضد المشركين) ٢٢٩ . ومهدي رزق الله أحد ، السيرة في ضوء المصادر الأصلية ٦١٣ .

(٢) الواقدي ، المغازي ٩٩٥/٣ . وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٢٥/١ (٩٥٤) .

(٣) الواقدي ، السابق ٩٩٩/٣ .

(٤) ابن هشام ، السيرة ١٧٤/٤ ، ١٧٥ . والواقدي ، السابق ٩٩٩/٣ .

(٥) الصالحى الدمشقي ، سبل الهدى والرشاد ٤٨١/٥ .

أما الأحوال المناخية التي صاحبت الغزوة فقد كانت في غاية الصعوبة ؛ حيث اشتد القيظ ، وطابت الثمار ، وحسن المقام في الظلال ؛ ولهذا كان الجيش يسير الليل ، ويستريح النهار .

وكانت تبوك نفسها تعاني من شح المياه ، حتى اضطر النبي ﷺ إلى سؤال ربه الفرج ، فأيده بمعجزة ، وكان بصحبته معاذ فقال له : " يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنائنا " (١) .

عن عمر بن الخطاب ؓ قال : خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد ، فتركنا مراً وأصابنا فيه عطش حتى ظننا أن رقابنا ستقطع ، حتى إن كان أحداً ليذهب فيلتمس الرُّخْل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع ، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فُرْثَه فيشربه ثم يجعل ما بقي على كبده . فقال أبو بكر الصديق ؓ : يا رسول الله ، إن الله قد عوّدك في الدعاء خيراً فادعُ الله لنا . فقال : "أو تحبّ ذلك؟" قال : نعم . قال : فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعهما حتى مالت السماء ، فأطّلت ، ثم سكبت . فملئوا ما معهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت العسكر (٢) .

(١) مسلم ، الصحيح ١٧٨٥/٤ (٧٠٦) . قلت : وهو معنى يدرّكه كل من عرف (تبوك) في الوقت الحاضر . وفي خلافة عمر بن الخطاب ؓ بعث ابن عريض اليهودي فطوى تلك البئر . انظر : ياقوت ، معجم البلدان ١٥/٢ . وابن حجر ، الإصابة ٥٠/٧ (٣٣١) . ومعنى طواها أي بناها بالحجارة من جهات الأربع ، على شكل دائري ، كما يطوى الكتاب والقرطاس .

(٢) قال ابن كثير في البداية والنهاية ٩/٥ : إسناده جيد . وقال الألباني في فقه السيرة للغزالي ٤٤٠ : حسن أو صحيح . وقال في تحقيقه على صحيح ابن خزيمة ٥٢ ، ٥٣ ، برقم (١٠١) : ضعيف . ومال السندي في الذهب المسبوك (٥٦ ، ٥٧) إلى تصحيح الحديث .

الظروف الاقتصادية :

كانت ظروف المسلمين الاقتصادية في غزوة تبوك في أسوأ حالاتها ، وكان المسلمون يعانون من ضائقة مالية شديدة ، وقلة في الزاد ، والراحلة ، وضعف في المؤن ، والعدة ، والعتاد ، حتى سماها الله بـ (ساعة العسرة) ، قال تعالى : ﴿...الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ...﴾^(١) ، وسمى النبي ﷺ جيشها بـ (جيش العسرة) ، فقال ﷺ : ((من جهز جيش العسرة فله الجنة))^(٢) ، ونقل الحافظ ابن حجر الاتفاق على أن جيش العسرة هو غزوة تبوك^(٣) .

لقد اضطر الناس في الغزوة إلى أكل أوراق الأشجار ، حتى تورمت شفاههم^(٤) .

وكان الرجلان يشقان التمرة بينهما ، ويتداول النفر التمرة ، يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ، ثم يمصها هذا ، ثم يشرب عليها ، وهكذا^(٥) .

عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال : لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة ، فقالوا : يا رسول الله ! لو أذنت لنا ، فحرقنا نواضحنا ، فأكلنا وادعنا . فقال رسول الله ﷺ : " افعلوا " . فجاء عمر ، فقال : يا رسول الله ! إن فعلت قلّ الظهر ، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم ، ثم ادع الله لهم عليها بالبركة ، لعل الله أن يجعل في ذلك . فقال رسول الله ﷺ : " نعم " . قال : فدعا فنتع ، فبسطه ، ثم دعا بفضل

(١) التوبة (١١٧) .

(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ٤٧٧/٥ (٢٧٧٨) ، ٦٥/٧ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب رقم (٧) .

(٣) ابن حجر ، الإصابة ١٥/٤ (٤٤٠٨) .

(٤) قال السندي في الذهب المسبوك ٣٤٥ : قصة العطش صحيحة ، وقد رويت بطرق عديدة .

(٥) الطبري ، التفسير ٦٧/١١ . والقرطبي ، التفسير ٢٥٣/٨ ، ٢٥٤ .

أزروا لهم .. فجعل الرجل يحكي بكف ذرة .. ويحكي الآخر يكف تمر .. ويحكي الآخر يكسرة ..
 حتى اجتمع على الطلع من ذلك شيء يسير .. فعدنا رسول الله ﷺ يلبركة .. ثم قال :
 "خذوا في أوعيتكم" .. فآخذوا في أوعيتهم ، حتى ما تركوا في العسكر وعاء إلا ملأوه ..
 فآكلوا حتى شبعوا ، وفضلت فضلة ، فقال رسول الله ﷺ : "أشهد أن لا إله إلا الله وأني
 رسول الله ، لا يلقي الله بهما عبد غير مثلك فيحب عن الجنة" (١) ..
 وأكثركت المشقة والعناء فوابعهم ، وكلت الرجال والنساء يعقبونك بعيراً
 واحداً (٢) ..

وتنقل جلي أبي ذر عن حمله ، فنزل وأكمل الطريق مشياً على قدميه (٣) ..
 وترك رجلاً حمله من الضعف والضعف (٤) ..

وتنقل جلي جليبر حمله في طريق العودة ، فضربه النبي ﷺ بسوطه ، فوثب الجبر
 نشيطاً ، ثم انشراه عنه ، فلما قدم المدينة أعطى النبي ﷺ جليبر الثمن والجمال (٥) ..
 ووثكى الناس في تبوك إلى النبي ﷺ ما يظهرهم من الجهد ، فلما طأ ، قبل الله
 حمله نشيطاً وقوة (٦) ..

إن كثرة المعجزات التي أليدها الله بها نبيه في هذه العزوة ، وفرج بها على المسلمين
 ، من تكثير الطعام ، ونبع الماء ، ونزول المطر ، ونشاط اللواحي ، وغير ذلك ، وكذا

(١) مسلم ، الصحيح ٨١/٥٥٧ ، ٥٥٧ (٢٧٧) ..

(٢) الماردي ، الماردي الكبير ٨٤/٨٧٢ .. ولم أر مستنداً لمن ذكر ألف كلى ثمانية عشر رجلاً كلنا يعقبون بعيراً
 واحداً .. فإن المطالبات الرقمية للعدد الجيش وعدد اللواحي في العزوة تلبي قبول هذا الرقم .. الماردي كقري ،
 الرحيق المخبر ٤٨٧٧ .. ومطالع عدد المشقة للنبي ذكره البعض .. النظر : تفسير أبي السعود ٨٨/٤٠١ ..

(٣) ابن هشام ، السيرة ٤/١١٢٧ ..

(٤) الواقدي ، الماردي ٣/١١٠٠٣ ..

(٥) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، ٦١/٧٧٧ (٢٨٢١١) ..

(٦) أحمد ، المسند ٣٩١/١٣٧٧ (٣٣٩٥٥٥) وتنقل حقيقته : حديث صحيح ..

الكرامات التي خص بها أفراداً من أصحاب النبي ﷺ لتعبر بوضوح عن الضائقة الاقتصادية ، والمعاناة ، والمشقة ، والمكابدة التي كان يعاني منها الجيش^(١).

الظروف الاجتماعية :

كانت الظروف الاجتماعية أسوأ ماواجه المسلمين في هذه الغزوة ، بشكل قهون معه كل الظروف والتحديات الأخرى .

ويتركز أصل البلاء وأس المشكلة في تكاثر أعداد المنافقين في المدينة مع كثرة الوافدين إليها لإعلان إسلامهم ، منذ فتح مكة في رمضان من العام الثامن الهجري . لقد كان النفاق أكثر ما يعكراً صفو المجتمع المسلم في ذلك الوقت ؛ لكونه ظاهرة يكتنفها الغموض ، فالمنافقون من حيث الظاهر جزء من المجتمع المسلم ، وفي الباطن حرب عليه ، ولا سبيل لمعرفة الباطن بشكل قاطع إلا عن طريق الوحي . كما أن المنافقين ليسوا على درجة واحدة من النفاق ، وإنما على درجات متفاوتة ، ومن ثم كان التعامل مع هذه الظاهرة من الصعوبة بمكان .

لقد عبر ابن عباس رضي الله عنهما بوضوح عن كثرة أعداد المنافقين في المدينة زمن غزوة تبوك بقوله : (وقد كثر النفاق)^(٢) ، فضلاً عن أن كثرة الآيات التي تحدث عنهم في سورة التوبة وهي السورة التي رصدت أحداث غزوة تبوك تلمح إلى كثرة أعدادهم ، ولهذا فإن من الأسماء التي عرفت بها السورة (الفاضحة) ؛ لأنها فضحت المنافقين ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما فرغ من تنزيل (براءة) حتى ظننا أن لم يبق منا

(١) السندي ، الذهب المسبوك ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ، ٣٤٦ ، ٣٤٨ - ٣٥٥ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٠٨/١ ، نقلاً عن السندي ، الذهب المسبوك ٧٤ ، ١٩٣ وضعف إسناده ، وعزاه لمغازي ابن عائذ . وانظر : الهندي ، كثر العمال ٤٢٧/٢ (٤٤١٨) من طريق ابن عساكر ، ٥٦٣/١٠ (٣٠٢٤٩) من طريق ابن عساكر .

أحد إلا سينزل فيه شيء^(١). وقال ابن عباس رضي الله عنهما : «التوبة هي الفاضحة ، ما زالت تنزل : ومنهم ، ومنهم ، حتى ظنوا أنها لن تبقى أحداً منهم إلا ذكر فيها» . وقال قتادة : «كانت تسمى هذه السورة الفاضحة ؛ فاضحة المنافقين»^(٢). ومن أسمائها أيضاً (المبعثرة) ؛ لما كشفت من سرائر الناس^(٣).

ونحن إذ لا نعرف على وجه التحديد أعداد المنافقين من الأنصار وقبائل العرب ، وفي بعض المواقف لا نستطيع تمييز شخصية الصحابي من المنافق ، فنضطر لصرف النظر ؛ تورعاً عن الوقعة في أصحاب رسول الله ﷺ من غير قصد ، إلا أنه لا يتصور أن تكون أعداد المنافقين مع كثرتها مساوية لأعداد المسلمين .

لقد كان الرجل يعرف النفاق من أخيه ، ومن أبيه ، ومن عمه ، وفي عشيرته^(٤) . يؤيد ذلك قول كعب بن مالك ؓ في حديث تخلفه : فطفقت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً مغموصاً عليه في النفاق ، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء^(٥) .

وافتح أمرهم بدرجة أكبر زمن غزوة تبوك ، مع كثرة أعداد الوافدين على المدينة لإعلان إسلامهم ، وأطلع الله نبيه على المنافقين بأسمائهم ، وأسر النبي ﷺ إلى

(١) ابن الجوزي ، زاد المسير ٤٦٦/٣ . والمهدي ، كبر العمال ، ٤٢٠/٢ (٤٣٩٦) من طريق ابن عساكر . والسيوطي ، الإتقان ١٥٤/١ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٠٨/١ ، نقلاً عن السندي ، الذهب المسبوك ١٩٤ وضعف إسناده ، وعزاه لمغازي ابن عائد . وانظر : المهدي ، كبر العمال ٤٢٨/٢ ، ٤٢٩ (٤٤١٨) من طريق ابن عساكر .

(٣) ابن هشام ، السيرة ١٩٩/٤ .

(٤) ابن هشام ، السيرة ١٦٦/٤ . وحسن السندي في الذهب المسبوك ٢٤٩ إسناده .

(٥) البخاري ، الصحيح مع الفتح ٧١٧/٧ (٤٤١٨) . ومسلم ، الصحيح ٢١٢٢/٤ (٢٧٦٩) .

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بأسماء عدة منهم ، ولم يسر إليه بجميعهم ، فكان يعرف بصاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين الذي لا يعرفه غيره من البشر^(١).

كان المنافقون في المجتمع الإسلامي ينقسمون إلى فريقين : منافقو المدينة ،

ومنافقو الأعراب حول المدينة ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ

وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنَعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ

يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢).

ومنافقو المدينة كلهم من الأنصار ، ليس فيهم من المهاجرين أحد ، وهذا معنى

يسهل إدراكه ؛ فإنه لا يتصور مع الهجرة نفاق ؛ لأن الهجرة أمرها شاق ، فالمهاجر

يغترب عن وطنه وأهله ، ويتكبد المشاق في سبيل أمر عظيم ، فلا يكون دأبه غالباً إلاّ

الصدق ، والإخلاص ، لما هاجر له ، وأبعد ما يكون عن الخيانة والنفاق ، بخلاف المقيم

في ماله ، وأهله ، ووطنه الذي لم يتكبد من مشاق الهجرة شيء ؛ وبهذا يمكن أن يفسر

عدم قيام أحد من المهاجرين لتهنئة كعب بن مالك رضي الله عنه عندما بشره النبي ﷺ بتوبة الله

عليه سوى طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه^(٣) ؛ لكون النفاق فيهم مستكراً ، مستبشعاً ، ينفرون

منه ، ويفرون .

وكان عدد هؤلاء فيما يبدو بضعة وثمانين رجلاً^(٤).

أما منافقو الأعراب فيهم أشد من منافقي المدينة ، قال تعالى : ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ

(١) العيني ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٣٥٩/١٨ (٤٦٥٨) .

(٢) التوبة (١٠١) .

(٣) مسلم ، الصحيح ٢١٢٦/٤ (٢٧٦٩) .

(٤) البخاري ، الصحيح مع الفتح ٧١٧/٧ (٤٤١٨) . ومسلم ، الصحيح ٢١٢٣/٤ (٢٧٦٩) .

كُفَرًا وَفَسَاقًا وَاجْدِرُوا لَا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١﴾

وهؤلاء لا نعرف أعدادهم بالتحديد ، إلا أن الحافظ ابن حجر ذكر نقلاً عن الواقدي أن من بني غفار وحدهم من المعذرين مثل منافقي الأنصار . وأن هناك معذرين آخرين ، عدا من أطاع عبد الله بن أبي من قومه ، وقد كانوا كثيري العدد^(٢) . قلت : ولعل حديث النبي ﷺ مع كلثوم بن الحصين الغفاري ، وسؤاله عمن تخلف من قومه مما يشهد لذلك^(٣) . وقد صرح ابن إسحاق في السيرة بصيغة تشعر بعدم ثقته في الخبر أنهم من بني غفار^(٤) ، وجزم مغلطاي في الإشارة نقلاً عن ابن عساكر أنهم كذلك أي من غفار^(٥) .

لقد تمياً للمنافقين في غزوة تبوك فرصة مواتية لم تنهياً لهم مثلها من قبل ، فكثرة عدد الجيش تتيح لهم التسلل ، والمكر ، ولعب أدوار خفية بشكل لا يفتن له ، وكثرة أعداد المنافقين توفر كوادراً وطاقات تعمل على تحقيق الأهداف والغايات المشتركة . ومن الواضح أن التخطيط كان يتم بشكل منظم ، ولم يترك للعشوائية والمصادفة ، وأن نوعاً من التنسيق ، وتبادل الرأي والمشورة كان يجري بين قادة المنافقين في دهايز وكر صغير بنوه لهذا الغرض ، على هيئة مسجد ، قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِنْ صَادُوا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

(١) التوبة (٩٧) .

(٢) ابن حجر ، فتح الباري ٧/ ٧٢٣ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ٤/ ١٧٢ ، ١٧٣ . وحسنه السندي في الذهب المسبوك ٢٤٥ .

(٤) ١٦٢/٤ .

(٥) ٣٣٧ .

مِنْ قَبْلُ وَلِيَحْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحَسَنَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ^(١). وإمعاناً في المكر والخديعة طلبوا من النبي ﷺ أن يصلي في هذا الوكر ، فأَجَلَّهم ﷺ إلى حين عودته من الغزو ، وفي تلك الفترة فضح الله أمرهم لنبيه ، وكشف سترهم ، وأحبط كيدهم ، وأمر نبيه عرضاً عن الصلاة فيه بهدمه ، فهدمه بعد عودته من تبوك^(٢).

كما كان يجري أيضاً في بيت رجل يهودي يقال له (سويلم) أو (شويكر) ، يشبطون الناس عن الغزو ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ، فبعث طلحة بن عبيد الله ؓ في عدد من الصحابة ، وأمره أن يحرق عليهم البيت ، ففعل ، فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، وأفلت ، وقال فيما بعد آياتاً في نجاته تلك^(٣). وهي صورة من صور التعاون بين اليهود والمنافقين في المدينة في عصر الرسالة^(٤).

ويمكن أن نلاحظ بعض التحديات التي واجهها أصحاب النبي ﷺ على أيدي المنافقين في غزوة تبوك من خلال النقاط التالية :

(١) المساهمة في الإنفاق لتجهيز الجيش ، فقد أنفق بعضهم ، مكرراً ، ورياءً ، وسمعة ، وهم الذين عناهم ابن عباس رضي الله عنهما بقوله : (وأنفق رجال غير

(١) التوبة (١٠٧) .

(٢) ابن هشام ، السيرة ١٧٣/٤ ، ١٧٤ .

(٣) ابن هشام ، السابق ١٦٠/٤ . والحلي ، السيرة ١٠٢/٣ . وابن حجر ، الإصابة ٢٦٦/٣ (٤١٥٧) .

(٤) وهي ليست المرة الأولى ولا الوحيدة ، فقد سبق التعاون بينهما في مرات سابقة ، منها ما سجله القرآن في

غزوة بني النضير في قوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ

أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُظِلَّ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾

(الحشر: ١١).

محتسين^(١)، كما ذكرهم الله تعالى في قوله : ﴿ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾^(٢)، وقوله : ﴿ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَسْخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٣). إن من شأن مثل هذه المساهمة أن تعمي العيون عن مكرهم وخداعهم ، وتبعد عنهم الشبهة ، في حين أن بعض فقرائهم ، بل وأغنيائهم كانوا ينتظرون حظهم من هذه الصدقات^(٤)، وهذه الازدواجية مردها إلى الاضطراب والارتباك والتردد الذي تعاني منه شخصيات المنافقين ، بسبب فراغ حياتهم من القيم ، والمبادئ ، والتعاليم ، والأخلاق السامية ، وتجعل الفرد منهم على استعداد أن يأتي الشيء وضده في آن واحد .

وليس من العسير العثور على تفسير لهذه الظاهرة ، فقد تكفلت آيات من سورة التوبة ببيان جانب من نفسيات المنافقين المضطربة المرتبكة الحائرة المترددة ، قال تعالى : ﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخِرُوا اللَّهَ فَيُخْرِجَ مَا تُخْتَرُونَ ﴾^(٥)، قال ابن كثير في تفسير الآية : " قال مجاهد : يقولون القول بينهم ، ثم يقولون : عسى الله أن لا يفشي علينا سرنا هذا"^(٦)، فقد كانوا مع

(١) ابن عساکر ، تاریخ دمشق ٤٠٨/١ . نقلًا عن السندي ، الذهب المسبوك ١٩٣ ، وضعف إسناده ، وعزاه لمغازي ابن عاتذ . وانظر : الهندي ، كبر العمال ٤٢٧/٢ (٤٤١٨) من طريق ابن عساکر ، ٥٦٣/١٠ (٣٠٢٤٩) من طريق ابن عساکر .

(٢) التوبة (٥٣) .

(٣) التوبة (٩٨) .

(٤) ابن عساکر ، تاریخ دمشق ٤٠٨/١ ، ٤٠٩ نقلًا عن السندي ، الذهب المسبوك ١٩٣ وضعف إسناده . وانظر : الهندي ، كبر العمال ٤٢٨/٢ من طريق ابن عساکر .

(٥) التوبة (٦٤) .

(٦) ابن كثير ، التفسير ٣٦٦/٢ .

مكرهم بالمسلمين قولاً وعملاً يخشون أن يكشف الله سترهم لنبه ﷺ ، ويفضح أمرهم .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أَنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرِيكُمْ مِنْ أَحَدِهِمْ

أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ۝١٧٧﴾^(١) ، والمعنى : إذا ما أنزلت سورة

من القرآن فيها بيان عيوبهم التي يعرفون نظر بعضهم إلى بعض قائلين بلسان الحال : هل

يراكم أحد إن تكلمتم أو تناجيتهم بمعائب القوم ، يخبرهم به . ثم قاموا وانصرفوا ، ولم

يستمعوا قراءة السورة التي فيها معائبهم^(٢) .

٢) الإرجاف بعلي بن أبي طالب عليه السلام حين خلفه النبي ﷺ على المدينة . وقالوا :

ما خلفه إلا استثقلاً له ، وتحققاً منه . فوجد علي من هذا الكلام في نفسه . وحدث

رسول الله ﷺ به . فقال : " كذبوا ، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع ، فاخلفني

في أهلي وأهلك ، أفلا ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا

نبي بعدي"^(٣) .

٣) اعتذار بعضهم عن الخروج ، لأسباب تافهة ، منها : الحر ، وخوف

الفتنة^(٤) ، وقد جاء اعتذارهم في اللحظات الأخيرة قبل الخروج إلى تبوك ، بعد أن أوهوا

(١) التوبة (١٢٧) .

(٢) الطبري ، التفسير ٨٨/١١ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ١٦٣/٤ . وأصله في الصحيحين وغيرهما ، انظر : مسلم ، الصحيح ١٨٧٠/٤ ، ١٨٧١ (٢٤٠٤) .

(٤) منهم الجند بن قيس ، قال له النبي ﷺ : " يا جد ، هل لك في جلد بني الأصفر ؟" فقال : يا رسول الله ،

أذن لي ولا تفتني ، لقد علم قومي أنه ليس من أحد أشدّ عجباً بالنساء مني ، وإني أخاف إن رأيت نساء بني

الأصفر أن يفتني ، فأذن لي يا رسول الله . فاعرض عنه ، وقال : " قد أذنت لك " . فأنزل الله تعالى :

﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَكُولُ أَتَذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِي ۚ أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ۚ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ

بِالْكُفْرِ ۚ﴾ التوبة (٤٩) . انظر : ابن هشام ، السيرة ١٥٩/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٢٣٨/١

الجميع أقم خارجون معهم ، وبعد أن أخذوا حصتهم من الصدقات المتبرع بها^(١) ، مما تسبب في إرباك خطة الجيش ، وعرض آخرين من حديثي العهد بالإسلام إلى التأثير بهم ، وتقليدهم في التخلف عن الخروج ، قال تعالى في حكاية ذلك عنهم : ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِأَلْفٍ لَّوِ اسْتَظَمْنَا لَمَّزَتْنَا مَعَكُمْ يٰٓأَيُّهَا كُفُّوا أَلْسِنَتَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(٢) . وكان النبي ﷺ يأذن لهم ، ولا يدري عن حقيقة ما تكن صدورهم^(٣) ، حتى عاتبه الله تبارك وتعالى على الإذن لهم قبل أن يتبين له الصادق منهم في اعتذاره من الكاذب ، قال تعالى : ﴿مِمَّا آتَاكَ اللَّهُ عَلَيْكَ لِمَ أَذِنَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْإِذِينَ صَدَقُوا وَقَعَلَهُ

الكَذِبِينَ﴾^(٤) .

وعلى أية حال فقد زين الله لهم القعود والتخلف ، وزادهم وهناً ، وتبسيطاً ، ووجه المسلمين إلى عدم الاكتراث لذلك ، بل إن مصلحتهم في عدم خروجهم معهم ؛ حفاظاً على وحدتهم من الفرقة والاختلاف ، التي كان سيحدثها هؤلاء حال خروجهم ، وخاصة مع وجود من قد يصفي إليهم ، ويتأثر بمقاتلتهم ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَرَادُوا

(١٠٦) ، وقال : وكان الجند بن قيس سيد بني سلمة ، ويقال كان منافقاً ، وقيل إنه ثاب ، وحسنت توبته .

(١) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٠٨/١ ، ٤٠٩ نقلاً عن السندي ، الذهب المسبوك ١٩٣ وضعف إسناده . وانظر : الهندي ، كرم العمال ٤٢٨/٢ من طريق ابن عساكر .

(٢) التوبة (٤٢) .

(٣) مسلم ، الصحيح ٢١٢٣/٤ (٢٧٦٩) . وابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٠٨/١ . نقلاً عن السندي ، الذهب المسبوك ١٩٤ وضعف إسناده . وانظر : الهندي ، كرم العمال ٤٢٨/٢ (٤٤١٨) من طريق ابن عساكر .

(٤) التوبة (٤٣) .

أَلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَكَ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ
 اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا
 خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾^(١)

(٤) الشيط ، والتخذيل ، عن المشاركة ، بعبارات صريحة واضحة ، لا تحمل
 التأويل ، من مثل قولهم : (لا تنفروا في الحر) . قال تعالى في حكاية ذلك عنهم : ﴿وَقَالُوا
 لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ . (زهادة في الجهاد ، وشكاً في
 الحق ، وإرجافاً برسول الله ﷺ) ^(٢) .

ومن مثل قول رأس المنافقين عبد الله بن أبي : يغزو محمد ﷺ بني الأصفر مع
 جهد الحال ، والحر ، والبلد البعيد إلى ما لا قيل له به ! يحسب محمد ﷺ أن قتال بني
 الأصفر اللعيب ؟! والله ، لكأنني أنظر إلى أصحابه غداً مُقَرَّنين في الجبال ^(٣) . إن من شأن
 مثل هذا القول إحداث التأثير المعنوي في نفوس المشاركين في الغزوة ؛ فتضعف همهم
 عن المشاركة ، وتتغير مواقفهم ، وينكصوا على أعقابهم ، ويعودوا أدراجهم .

ويبدو أن هذا القول إن صح جاء تبريراً لانسحابه بمن أطاعه في اللحظات
 الأخيرة قبل التوجه إلى تبوك ، وهي عادة سبق له تكرارها في معركة أحد حين انسحب
 في الطريق إلى ميدان المعركة بثلاث الناس ، ممن أطاعه من قومه ^(٤) ، وهي صورة من صور
 النفاق ذات المواقف المتقلبة ، والمعايير المزدوجة ، فمع أنه كان قد عسكر في مكان وحده

(١) التوبة (٤٦ ، ٤٧) .

(٢) ابن هشام ، السيرة ١٦٠/٤ . والآية (٨١) من سورة التوبة .

(٣) ابن هشام ، السابق ١٦٨/٤ . والذهبي ، تاريخ الإسلام (المغازي) ٦٤٢ . والخلعي ، السيرة ١٠٢/٣ .

(٤) ابن هشام ، السابق ٦٨/٣ .

عند جبل ذباب - وهذا أول الشر - فقد اتبع ذلك في نهاية الأمر بالانسحاب والتخلف عن الخروج ، وقد جاء في وصف جيشه بأنه ليس أقل العسكرين^(١) . بمعنى أنه كان كثير العدد .

٥) لزم المطوعين بالصدقات ، والسخرية منهم ، والاستهزاء بهم ، ولم يسلم من ذلك منفق بكثير ، ولا بقليل ، فإذا جيء بصدقة كثيرة قالوا عن صاحبها : مراني . وإذا جيء بصدقة قليلة قالوا : هذا أحوج إلى ما جاء به^(٢) ، قال تعالى في حكاية ذلك عنهم :

﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٣) .

وكان أبو خيثمة الأنصاري رضي الله عنه ممن تعرض للمز المنافقين وسخريتهم حين تصدق بصاع من تمر^(٤) . وكذا أبو عقيل رضي الله عنه لما تصدق بنصف صاع قال المنافقون : إن الله لغني عن صدقة هذا^(٥) .

إن من شأن مثل هذا التصرف أن يؤدي إلى ازدياد العمل ، وضعف المهمة ، وقد ينتهي بتغيير الموقف ، والارتداد .

٦) الفرح لمصاب المسلمين ، والحزن والأسى لسلامتهم ، وقد جاء ذلك في مرحلة ما بعد خروج الجيش من المدينة والتوجه إلى تبوك ، فكان من بقي في المدينة من المنافقين - وهم الأكثر - إذا بلغهم أن المسلمين أصابهم جهد وبلاء فرحوا به ، وقالوا : قد

(١) ابن هشام ، السابق ١٦٢/٤ .

(٢) ابن عساکر ، تاريخ دمشق ٤٠٨/١ . نقلاً عن السدي ، السابق ١٩٣ وضعف إسناده . وانظر : الهندي ، كز العمال ٤٢٨/٢ (٤٤١٨) من طريق ابن عساکر .

(٣) التوبة (٧٩) .

(٤) مسلم ، الصحيح ٢١٢٢/٤ (٢٧٦٩) .

(٥) البخاري ، الصحيح مع الفتح ١٨١/٨ (٤٦٦٨) .

كُنَّا نَعْلَمُ ذَلِكَ ، وَنَحْذَرُ مِنْهُ ، وَإِذَا أَخْبَرُوا بِسَلَامَةِ مِنْهُمْ وَخَيْرِ حَزَنُوا^(١) ، قَالَ تَعَالَى فِي حِكَايَةِ ذَلِكَ عَنْهُمْ : ﴿إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾^(٢) ، وَقَالَ أَيْضاً : ﴿لَقَدْ ابْتَغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾^(٣) .

وَأَمَّا الَّذِينَ خَرَجُوا مَعَ الْجَيْشِ - وَهُمْ الْأَقْل - فَقَدْ مَارَسُوا أَنْوَاعاً مُخْتَلِفَةً مِنْ الْإِرْجَافِ دَاخِلِ الْمَعْسَكِ - وَهُوَ فِي مُوَاجَهَةِ الْعَدُوِّ - حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ فِي نَهَايَةِ الْأَمْرِ إِلَى مُحَاوَلَةِ قَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ ، وَمِنْ صُورِ الْإِرْجَافِ اللَّفْظِيِّ الَّتِي مَارَسُوهَا :

(٧) الْوَقِيعَةُ فِي الْمُسْلِمِينَ عِنْدَ غِيَابِ بَعْضِهِمْ ، فَحِينَ سَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، أَجَابَ رَجُلٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ مِنْ بَنِي سُلَيْمَةَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، حَبَسَهُ بِرَدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عَطْفِيهِ . فَابْتَدَرَهُ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ بِقَوْلِهِ : بَنَسَ مَا قُلْتَ ، وَاللَّهِ - يَا رَسُولَ اللَّهِ - مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا^(٤) .

إِنَّمَا صُورَةُ مِنْ صُورِ التَّمَايِزِ فِي الْمَوَاقِفِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الصَّادِقِينَ ، وَالْمُنَافِقِينَ الْمُرْتَدِّينَ فِي إِيمَانِهِمْ . وَبِضَدِّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ .

(٨) السَّخَرِيَّةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ وَالتَّهْكِيمُ بِفَتَاتٍ مِنَ الْجَيْشِ ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قَرَانِنَا هَؤُلَاءِ قَطُّ أَرْغَبَ بَطُونًا ، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسُنًا ، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ الْلِقَاءِ» . وَلَمَّا

(١) ابْنُ عَسَاكِرَ ، تَارِيخُ دِمَشْقَ ١/٤٠٨ ، ٤٠٩ . نَقْلًا عَنِ السَّنَدِيِّ ، السَّابِقُ ١٩٤ وَضَعَفَ إِسْنَادَهُ . وَانْظُرْ : الْهِنْدِيُّ ، كَرِّ الْعَمَالِ ٢/٤٢٩ (٤٤١٨) مِنْ طَرِيقِ ابْنِ عَسَاكِرَ .

(٢) التَّوْبَةُ (٥٠) .

(٣) التَّوْبَةُ (٤٨) .

(٤) مُسْلِمٌ ، الصَّحِيحُ ٤/٢١٢٢ (٢٧٦٩) .

سئلوا عن ذلك قالوا : (إنما كنا نخوض ونلعب) ، فأنزل تعالى في شأنهم ﴿وَلَكِنْ

سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ

نَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٧﴾ لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ

طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾^(١)

ومن ذلك أيضاً قول زيد بن اللصيت القينقاعي ، وكان منافقاً : محمد ﷺ

يخبركم أنه نبي ، ولا يدري أين ناقته . وكانت قد حبستها شجرة بزمامها . فترل الوحي

يخبر النبي ﷺ بكلام هذا المنافق ، ويتعين مكان الناقة^(٢) .

(٩) ومن صور الإرجاف العملي مخالفة أمر النبي ﷺ ، ومن ذلك : وصول عدد

منهم إلى ماء ، أمر ﷺ ألا يسبقه إليه أحد ، فوجد قوماً قد سبقوه ، فلعنهم يومئذ^(٣) .

ومن صورهِ أيضاً : المس من ماء عين تبوك الذي فهم النبي ﷺ عن المس منه قبله ، فسبقه

إليه نفر ، فاستقوا منه ، فسبهما يومئذ^(٤) . ومن صورهِ كذلك : قيام رجل في ربح أخير

النبي ﷺ أنها ستهب ، ونهى عن القيام فيها ، فألقته بجبل طيء^(٥) . ومن صورهِ : قول رجل

(١) التوبة (٦٥ ، ٦٦) .

(٢) ابن هشام ، السيرة ١٦٦/٤ ، ١٦٧ . وحسن السندي في الذهب المسبوك ٢٤٩ ، ٢٥٠ إسناده .

(٣) مسلم ، الصحيح ٢١٤٤/٤ (٢٧٧٩) .

(٤) مسلم ، الصحيح ١٧٨٥/٤ (٧٠٦) . وذكر ابن هشام ١٧١/٤ . والواقدي في مغازيه (١٠٣٩/٣) .

أنهم من المنافقين . وعلل الزرقاني في شرح الموطأ ١٥/١ مخالفتهم أمر النبي ﷺ إن كانا مؤمنين بقوله : قال الباجي : لأنهما لم يعلما فيه ، أو حلا النهي على الكراهة لا على التحريم ، أو نسيان . وروى أبو بشر الدولابي أنهما كانا من المنافقين .

(٥) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، ٤٠٢/٣ (١٤٨١) . لكن لم أقف على من ذكر أنه من المنافقين كما في

التالين السابقين ، ويحتمل ألا يكون منهم إلا أنه تأثر بأفعالهم ، أو أنه تاب من النفاق ، والله أعلم . انظر :

ابن هشام ، السيرة ١٦٥/٤ .

من الأنصار لآخر من قومه يتهم بالنفاق ، حين استجاب الله دعاء نبيه ﷺ بتزول المطر :
 إنما مطرنا بنوء كذا وكذا . وقد أخبر أن المطر إنما نزل استجابة لدعاء النبي ﷺ ، وأن
 ذلك من معجزاته ، الدالة على صدقه ﷺ ، التي يجب أن يزول معها كل شك وريب في
 نبوته وصدقه^(١) .

إن من شأن مخالفة أمر النبي ﷺ أن تهون من شأنه كقائد للجيش ، وتضعف من
 مهابته ، وتشجع على معصية أوامره ، بل والجراءة والتطاول عليه في مواقف أخرى .
 ١٠ . وأخيراً محاولة قتل النبي ﷺ ، من خلال أربعة عشر رجلاً منهم ، لما رأوا
 أن محاولاتهم باءت بالفشل ، وذهبت جهودهم سدى ، طاشت أحلامهم ، وفقدوا صوابهم
 ، وصاروا يتخطون في قراقرمهم ، وبلغت بهم الحماقة حد محاولة قتل النبي ﷺ ، وهو في
 طريق عودته إلى المدينة ، بإسقاطه عن دابته من على عقبة سلك طريقها ، وأمر ألا
 يسلكها معه أحد ، فسلكها هؤلاء القوم ، منتفذين من فرصة سنحت لهم ، إلا أن الله
 حفظ نبيه ﷺ باثنين من أصحابه ، كانا يحرسانه وهو على الراحلة ، أحدهما من أمامه ،
 والآخر من خلفه ، وهما عمار وحذيفة رضي الله عنهما^(٢) .

(١) ابن هشام ، السيرة ١٦٦/٤ . والسيوطي ، الخصائص ٤٥٧/٢ ، ٤٥٨ . وقال السندي في الذهب
 المسبوك ٣٤١ ، ٣٤٢ : هذا الجزء من الحديث [إنما مطرنا بنوء كذا] صحيح ، وأما الباقي فلا علم لي
 بذلك .

(٢) مسلم ، الصحيح ٢١٤٤/٤ (٢٧٧٩) . وقول الصحابي في آخر القصة (إن كنتُ منهم فقد كانوا خمسة
 عشر) يدل على شدة حذر أصحاب النبي ﷺ وخشيته على أنفسهم من النفاق ، وهو ما يؤيد القول
 بانتشار المنافقين وتكاثرهم في المجتمع الإسلامي في ذلك الوقت ، وهي ظاهرة مصاحبة لكل تطور وغو
 وارتقاء .

ومرة أخرى يظهر التمايز بين الطيب والخبيث ، فحرص المنافقين على قتل رسول الله ﷺ ، يقابله حرص أصحاب النبي ﷺ حذيفة وعمار على سلامة النبي ﷺ . وبضدها تميز الأشياء .

ومن عجب أن النبي ﷺ لم يتعرض لأحد منهم بسوء ، وكان ﷺ يصبر عليهم ، ويقول : "أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه"^(١) ، وعذر ثلاثة منهم ، حلفوا له ما سمعوا منادي رسول الله ﷺ ، وما علموا بما أراد بقية القوم^(٢) .

وفعله ﷺ ذلك معهم لا يغير من حقيقتهم شيء ، فهم منافقون ، وأعداء لله ورسوله ، ويوم القيامة في الدرك الأسفل من النار ، إلا الذين تابوا .

إلا أنه وبعد انتهاء المعركة ، وزوال الغمة ، وانكشاف الكربة ، واتضح الرؤية جاء البيان الإلهي بوصف حالهم ، بأنهم رجس ، وأن مصيرهم إلى النار ، وأنهم فاسقون ، وأن الله لن يرضى عنهم أبداً ، قال تعالى : ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۗ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا

(١) الطبراني ، الأوسط ٤٥/٩ (٨٠٩٦) بإسناد حسن . وأصحابه هنا أي أتباعه الذين رافقوه في الغزوة وكانوا معه ، وليس أصحابه في الملة والدين والشرعة ، فالمعنى اللغوي للصحة هو المراد ، وليس المعنى الشرعي الذي نحن بصدده في هذه الدراسة ، وذلك كقوله تعالى عن صاحب الجنتين ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ۖ ﴾ [كهف (٣٤)] ، فقد أثبت تعالى بين المتحاورين صحة ، مع أن أحدهما مؤمن والآخر كافر . ومثله قول سلمة بن الأكوع ؓ عن رجلين من المنافقين : عدنا مع رسول الله ﷺ رجلاً موعوكاً . قال : فوضعت يدي عليه ، فقلت : ما رأيت كالיום رجلاً أشد حراً . فقال نبي الله ﷺ : " ألا أخبركم بأشد حراً منه يوم القيامة ؟ هذين الرجلين الراكبين المَقَفَيْنِ " . لرجلين حينئذ من أصحابه . فعدهما من أصحابه مع كونهما منافقين . مسلم ، الصحيح ٢١٤٦/٤ (٢٧٨٣) .

(٢) مسلم ، الصحيح ٢١٤٤/٤ (٢٧٧٩) .

يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِزَمَانَهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَلَا يَزِرْكُمْ عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٧﴾^(١)

كما جاء التوجيه بالنهي عن الاستغفار لهم ، قال تعالى : ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢) ﴿٨٠﴾^(٣) . وقال تعالى : ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَدِيمًا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾^(٤) ﴿١١٣﴾^(٥) .

والنهي عن الصلاة على من مات منهم ، قال تعالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾^(٦) ﴿٨٤﴾^(٧) ، نزلت في حادثة صلاة النبي ﷺ على عبد الله بن أبي حنينة مات ، وقد كان من المنافقين^(٨) .

الاستجابة لنداء الاستعداد والتهيؤ والمشاركة في الغزوة:

إن معرفة مدى تأثير المستهدفين بالمشاركة في الغزوة بالعوامل والظروف السابقة هو الغاية من هذا البحث.

^(١) التوبة (٩٥ ، ٩٦) .

^(٢) التوبة (٨٠) .

^(٣) التوبة (١١٣) .

^(٤) التوبة (٨٤) .

^(٥) البخاري ، الصحيح مع الفتح ٢٧٠/٣ (١٣٦٦) . ومسلم ، الصحيح ١٨٦٥/٤ (٢٤٠٠) .

وفي ظل تلك الظروف الشديدة والعوامل الصعبة التي سبقت الغزوة جاءت مشاركة الصحابة رضي الله عنهم في غزوة تبوك ، وهي تظهر بوضوح حجم الضغوط المادية والمعنوية التي تعرضوا لها ، والمعاناة التي كابدها في الاستجابة لنداء المشاركة في الغزوة ، وكان من الطبيعي أن تترك تلك الظروف والعوامل آثارها على قرار المشاركة ؛ الذي جاء مشوباً بالتأمل والتباطؤ ، فإنه لما ندب ﷺ الناس للغزوة ، واستنفرهم للمشاركة ، واستنهضهم للتهيؤ والاستعداد ، شق ذلك عليهم ، وعسر ، وغلظ^(١).

فزلت الآيات بالحث على سرعة الاستجابة للنداء ، والمبادرة إليه ، والنهي عن التأمل ، قال تعالى : ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَالُكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَا قُلْنَا إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾^(٢). وقال : ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ

(١) القرطبي ، التفسير ٢٥٥/٨ . ووقع ذلك منهم ﷺ غير مستغرب ؛ فافهم بشر ، يتأثرون بما يتأثر به

البشر ، وقد قال تعالى ليه ﷺ في سورة الإسراء : ﴿وَلَنْ كَادُوا أَنْ يَبْتَغُونَكَ عَنِ الَّذِينَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ

لِتَنْفِرُوا عَلَيْنَا غَيْرَةً وَإِذَا لَأَتَّخِذُوكَ خِيَلًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا أَنْ تُبَشِّرَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا

﴿٣٩﴾ إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ فُتَحَ الْخَيْبَةُ وَضَعَفَ الْمَمَاتُ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْهِمْ نَصِيرًا ﴿٤٠﴾ وَلَنْ كَادُوا

لِيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤١﴾﴾ فقد أخبر الله تعالى في هذه

الآيات أن المشركين كادوا أن يفتنوا رسول الله ﷺ عما أوحاه الله إليه ليعمل غيره (الطبري ، التفسير

١٥١/١٥) فلأن يقع ما يشبه ذلك أو دونه ممن هو دون النبي ﷺ من باب أولى.

(٢) الطبري ، السابق ١٥٢/١٠-١٥٤ . والآية رقمها (٣٨ ، ٣٩) من سورة التوبة.

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾^(١)، وقال: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ

أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾^(٢)، ويبدو أن الناس بعد نزول

الآيات بادروا لتلبية النداء، واستجابوا لأمر ربه، وسارعوا في التهيؤ والاستعداد

للخروج، حتى الضعيف الناصح لله ورسوله، والمريض، والفقير قالوا: هذا أمر لا

رخصة فيه لقاعد، وخاصة بعد نزول قوله تعالى ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾.

إلا أننا لا نستطيع أن نميز بين الذين تناقلوا عن المشاركة في الغزوة أول الأمر ثم

استجابوا لاحقاً، وهو أمر ثابت بنص الكتاب لا مجال للشك فيه، وبين السابقين

الأوليين من المهاجرين والأنصار الذين يستحيل دخولهم في المتأقلين.

كما أنه لا يمكن القول أن الجميع تناقلوا، أو كانوا على درجة واحدة من

التناقل. ومن المؤكد أن الاستجابة لم تأت على درجة واحدة، وجاءت على درجات

مختلفة، ففيهم من بادر أول الأمر، وفيهم من استجاب لاحقاً، وفيهم من خرج مع

الجيش، وفيهم من لحق به بعد خروجه، وفيهم من تخلف، ولم يخرج.

أما الاستئذان في التخلف عن الغزوة فمع أنه قد ذكر أن جماعة من الصحابة

أخذوا يستئذونه ﷺ في التخلف، وكان النبي ﷺ يأذن لهم^(٣)، إلا أن آيتين من سورة

التوبة صريحتان تنفيان إحداها الاستئذان وتبته الأخرى، وهما قوله تعالى ﴿لَا

يَسْتَفِذُّكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾^(٤) إِنَّمَا يَسْتَفِذُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَوَاتُ

(١) التوبة (٤١).

(٢) التوبة (١٢٠).

(٣) الطبري، الضمير ١٦٠/١٠.

قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَذَدُّونَ ﴿١٥﴾^(١)، فالأولى نافية ، والثانية مثبتة ، نفته الأولى عن أصحاب الإيمان بالله واليوم الآخر ، أمثال أبي بكر ، وعمر ، وبقية السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار الذين عرفوا بالمسارعة إلى امتثال أمره واجتباب فيه ، وأثبتته الثانية لأصحاب الشك والريب والتردد في الإيمان بالله واليوم الآخر ، والثقة في الله ورسوله ، وهم أهل النفاق .

وإن كان هناك من استأذنه فلن يكونوا من أهل السابقة ، وإنما هم بمن أسلموا متأخرين ، وتأثروا بأفعال المنافقين ، واقتدوا بهم ، مع أنهم ليسوا منهم .

المساهمة في تجهيز الجيش :

بالمال تتمكن الأمة من توفير الطاقات البشرية ، والمادية اللازمة للجيش ، ويتمكن من لا يقدر على الخروج بنفسه من المشاركة بماله ، وتجهيز من يقدر ولا يجد المال . وما ذكر الجهاد بالنفس والمال في القرآن إلا قدم الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس إلا في موضع واحد ، مما يدل على عظيم أثر المال في الجهاد في سبيل الله^(٢) .

والإنفاق حال العسرة ، والضيق ، والحاجة أعظم أثراً ، وأكثر وقعاً منه حال السعة ، واليسر ، والجدة ، مصداقاً لحديث النبي ﷺ حين سئل : أي الصدقة أعظم أجراً ؟ قال : " أن تصدق وأنت صحيح شحيح ، تخشى الفقر ، وتأمل الغنى .. " ^(٣) .

ورغم الظروف الاقتصادية الصعبة ، والضائقة المالية ، وقلة ذات اليد ، التي كانت تمر بالمسلمين ، إلا أن أصحاب رسول الله ﷺ تسابقوا في تجهيز الجيش ، بعد أن

(١) التوبة (٤٤ ، ٤٥) .

(٢) وهو قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ الآية . التوبة (١١١) . انظر : ابن القيم ، بدائع الفوائد ٨٥/١ .

(٣) البخاري ، الصحيح مع الفتح ٣/٣٣٤ (١٤١٩) . ومسلم ، الصحيح ٧١٦/٢ (١٠٣٢) .

قال ﷺ: "تصدقوا فإنني أريد أن أبعث بعثاً"^(١)، فتعددت صدقاتهم ، وهباتهم ، وأعطياهم ، ومنائحهم ، وتبرعاتهم ، وتنوعت ؛ بين دراهم ، ودنانير ؛ من ذهب ، وفضة . وطعام ؛ من تمر ، وغيره . ودواب ، من خيل ، وجمال . وحلي نسائية ؛ من معاضد ، وخلاخل ، وأقربة ، وخواتيم ، ومسك . وغير ذلك .

إلا أننا للأسف لا نستطيع أن نعرف من أسماء الذين ساهموا في تجهيز جيش العسرة إلا أعداداً محدودة ، في حين غاب عنا أكثرها .

وكان أبو بكر الصديق ﷺ أول من جاء بصدقته ، فجاء بماله كله ، ولم يترك لأهله شيئاً^(٢) .

وجاء عمر ﷺ بنصف ماله^(٣) .

قال ﷺ : أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ، فوافق ذلك مالاً عندي ، فقلت :

اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً ، فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ : "ما

أبقيت لأهلك ؟" قلت : مثله . قال : وأتى أبو بكر ﷺ بكل ما عنده ، فقال له رسول الله

(١) الطبري ، التفسير ٢٢٠/١٠ . وقال السندي عن إسناده في الذهب المسبوك ٢١٤ : حسن لغیره . وقال في ٢١٥ : روي المتن من طرق كثيرة ؛ مرسله ، وحسنه .

(٢) الترمذي ، السنن ٥/ ٦١٤ (٣٦٧٥) وقال : حسن صحيح . وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي ٥٠٧/٣ (٣٦٧٥) : حسن . وأبو داود ، السنن ٢/ ٣١٢ (١٦٧٨) . وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود ، ٥/ ٣٦٦ (١٤٧٣) : إسناده حسن على شرط مسلم . وقيل إن مقدار صدقته أربعة آلاف درهم . انظر : الواقدي ، المغازي ٩٩١/٣ بدون إسناده .

(٣) قيل كان مقدار صدقته مائة أوقية . انظر : ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٠٨/١ ، ٤٠٩ . نقلاً عن السندي ، السابق ١٩٣ وضعف إسناده . وانظر : الهندي ، كثر العمال ٤٢٨/٢ (٤٤١٨) من طريق ابن عساكر ، ٥٦٣/١٠ (٣٠٢٤٩) من طريق ابن عساكر .

ﷺ: "ما أبقيت لأهلك ؟" قال : أبقيت لهم الله ورسوله . قلت : والله لا أسبقه إلى شيء أبداً" (١).

مما يشير إلى فضل أبي بكر ﷺ ، وفضل عمر ﷺ أيضاً ؛ حيث الإقرار بفضل الصديق رضي الله عنهما ، والاعتراف بتفوقه ، وليس الغل ، والحقد ، والحسد ، والضغينة ، كما هو شأن المنافقين .

وتبرع عثمان بن عفان ﷺ ، وكان أكثر من تبرع ، وجاء تبرعه مراراً ، وليس مرة واحدة ، وكان لتبرعه دور كبير في تجهيز الجيش ، حتى قيل أنه جهز ثلث الجيش ، ويستدل من حديث صحيح ذكره البخاري على أنه ربما جهز الجيش كله ، وذلك حين خطب يوماً في خلافته أيام حادثة الدار مذكراً بمناقبه ، وعد منها تجهيزه جيش العسرة ، فقال : أستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال : "من جهز جيش العسرة فله الجنة" ، فجهزته . قال الراوي : فصدقوه بما قال (٢) . كما كان لتبرعه أثر عظيم في نفس النبي ﷺ ، حتى قال ﷺ : "ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم ، يُردُّها مراراً" (٣) .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره عند قوله تعالى : ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً

وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ : وقد حصل لأمر المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه من هذه الآية الكريمة حظ وافر ، ونصيب عظيم أنه أنفق في هذه الغزوة النفقات الجلييلة ، والأموال الجزيلة (٤) .

(١) تقدم في الحاشية قبل السابقة .

(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، ٤٧٧/٥ (٢٧٧٨) .

(٣) أحمد ، المسند ٢٣١/٣ (٢٠٦٣٠) وقال محققه : إسناده حسن .

(٤) ابن كثير ، التفسير ٤٠٠/٢ . والآية رقمها (١٢١) من سورة التوبة . وتختلف الروايات في مقدار ، ونوع نفقته ﷺ ، فقيل : عشرة آلاف دينار . وقيل : ألف دينار . وقيل : جهز ثلث الجيش بكل ما يحتاجه . وقيل : حمل على ألف بعير عليها ألقاها ، وأحاطها . وقيل : تسعمائة بعير . وقيل : ثلاثمائة بعير . وقيل : مائتا بعير . وقيل : مائة . وحمل على مائة فرس . وقيل : سبعين . وتبرع بسعمائة أوقية ذهب ، وقيل : مائتا

ومن المتبرعين الكثيرين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ^(١).

ومن أنفقوا أيضاً : العباس ، وطلحة ، وسعد بن عباد ، ومحمد بن مسلمة ،

وقيس بن سَلَع الأنصاري ^(٢)، وعاصم بن عدي ^(٣)، وأبو عقيل الأنصاري ^(٤)،

وأبو خيثمة

الأنصاري ^(٥)، وغَلَبَة بن زيد الأنصاري رضي الله عنه ^(٦).

أوقية . انظر: أحمد ، المسند ٢٤٧/٢٧-٢٤٩ (١٦٦٩٦ ، ١٦٦٩٧) بإسنادين ضعيفين ، ٢٣١/٣٤ ، ٢٣٢ (٢٠٦٣٠) بإسناد حسن . وانظر: الترمذي ، السنن ، ٥ / ٦٢٥ ، ٦٢٦ (٣٧٠٠ ، ٣٧٠١) . والحاكم ، المستدرک ١١٠/٣ (١٥١/٤٥٥٣) وقال: صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي . وابن هشام السيرة ١٦١/٤ . والواقدي ، المغازي ٩٩١/٣ . وابن عبد البر ، الدرر ٢٣٨ ، ٢٣٩ . والمحجب الطبري ، الرياض النضرة ١٦٦/٣-١٨ . ومغلطاي ، الإشارة ٣٣٥ . وابن كثير ، البداية والنهاية ٤/٥ . وفتح الباري ٤٨٧/٥ ، ٤٨٨ . والصالحی الدمشقي ، سبل الهدى والرشاد ٤٣٤/٥-٤٣٦ .

^(١) وتختلف الرويات أيضاً في مقدار نفقته ، ونوعها ، فقيل : تبرع بأربعين ألف دينار . وقيل : ثمانية آلاف . وصححه الحافظ ابن حجر . وقيل : تبرع بألفي درهم . وأربعين أوقية من ذهب . وقيل : مائتي أوقية . وقيل : أربعمائة أوقية . ومائتي أوقية فضة . وقيل : جاء إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، عندي أربعة آلاف ؛ ألفين أقرضهما ربي ، وألفين أمسكهما لعمالي ، فقال : بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت . وفي رواية ، فقال : يا رسول الله ، مالي ثمانية آلاف ، جئتك بنصفها ، وأمسكت نصفها . فقال : بارك الله لك فيما أمسكت ، وفيما أعطيت . انظر : تاريخ دمشق ، لابن عساكر ٤٠٨/١ نقلاً عن السندي ، الذهب المسبوك ، ١٩٣ وضعف إسناده . وانظر : الهندي ، كز العمال ، ٤٢٧/٢ (٤٤١٨) من طريق ابن عساكر ، ٥٦٣/١٠ (٣٠٢٤٩) من طريق ابن عساكر . وبقية المراجع المذكورة في نفقة عثمان رضي الله عنه المذكورة في الحاشية السابقة .

^(٢) الواقدي ، المغازي ٩٩١/٣ .

^(٣) ذكر صدقة عاصم بن عدي دون تحديد مقدار الصدقة الطبري في تفسيره ٢٢١/١٠ .

^(٤) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، ١٨١/٨ (٤٦٦٨) .

^(٥) مسلم ، الصحيح ٢١٢٢/٤ (٢٧٦٩) .

^(٦) تبرع غَلَبَة بعرضه حين لم يجد ما يتصدق به ، وهو أحد البكائين الذين جاءوا يسألون النبي ﷺ الحملان ، فاعتذر إليهم بعدم وجود ما يحملهم عليه ، فعادوا تفيض أعينهم من الدمع . خرج من الليل فصلى ، وبكى ، وقال : اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ، ورغبت فيه ، ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك ، وإني

وتبرعت النساء أيضاً ، قالت أم سنان الأسلمية رضي الله عنها : ولقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي رسول الله ﷺ ، في بيت عائشة ، فيه : مسك ، ومعاضد ، وخلاخل ، وأقرطة ، وخواتيم ، وقد ملئء ثماً بعث به النساء ، يُعِنُّ به المسلمين في جهازهم^(١) .

لقد ضرب أصحاب النبي ﷺ رجالاً ونساءً أروع الأمثلة في البذل والإنفاق ، في حال من العسرة ، والشدة ، والمشقة ، والضيق ، وقلة ذات اليد ، والفاقة ، والحاجة . وساد جو من التعاون في سد حاجات البعض ، وكان الرجل يأتي بالبعير إلى الرجل والرجلين فيقول : هذا البعير بينكما تعتقبانه . ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيهما بعض من يخرج^(٢) .

روى وائلة بن الأسقع ؓ قال : نادى رسول الله ﷺ في غزو تبوك ، فخرجت إلى أهلي ، فأقبلت ، وقد خرج أول صحابة رسول الله ﷺ ، فطفت المدينة أنادي : ألا من يحمل رجلاً ، له سهمه ؟ فنادى شيخ من الأنصار ! فقال : لنا سهمه على أن نحمله عقبةً ، وطعامه معنا . قلت : نعم . قال : فسر على بركة الله تعالى . قال : فخرجت مع خير صاحب ، حتى أفاء الله علينا ، فأصابني قلائص ، فسقتهن ، حتى آتته ، فخرج ، فقعد على حقيبة من حقائب أبله ، ثم قال : سقهن مدبرات . ثم قال : سقهن مقبلات .

أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابني بها ، في جسد ، أو عرض . انظر : ابن هشام ، السيرة ١٦١/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٢٦١/٤ (٥٦٥٠) . ويفهم من كلام السندي على القصة في الذهب

المسبوك ٢٢١-٢٢٣ تصحيحه الخبز .

(١) الواقدي ، السابق ٩٩١/٣ ، ٩٩٢ .

(٢) الواقدي ، السابق ٩٩١/٣ .

فقلا : ما أرى قلائصك إلا كراماً . قال : إنما هي غنيمتك التي شرطت لك . قال : خذ قلائصك يا بن أخي ، فغير سهمك أردنا^(١) .

وقال ابن إسحاق : لقي ابن يامين بن عمير بن كعب النضري أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يكيان ، فقال : ما يكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه . فأعطاها ناضحاً له . فارتحلاه ، وزودهما شيئاً من تمر . فخرجا مع رسول الله ﷺ^(٢) .

لقد كانت الحاجة أكبر بكثير من التبرعات التي تصل ، وكان النبي ﷺ يفرق كل ما يصل إليه على المحتاجين ، وأحياناً ينفد ما عنده ، ويأتيه السائل يسأله ، فلا يجد ما يعطيه إياه ، ثم لا يلبث أن يأتيه مال ، فيشتري به حاجة السائل ، ويرسل في طلبه ، ويعطيه مسأله . وقد لا يأتيه شيء ، وينفد المال ، وتتوقف الصدقات ، ولا يحصل السائل على مسأله ، فيتولى وعنه تفيض من الدمع ، ويتخلف عن الجيش ، ولا يجد سلوة لحزنه إلا أن الله عذره على عدم الخروج .

أما الحديث المروي في صدقة عثمان ؓ ، وفيه أن عثمان ؓ تبرع حتى إن كان ليقال : ما بقيت لهم حاجة^(٣) . وكذا الحديث المروي في صدقة عبد الرحمن بن عوف ؓ ، وفيه قول عبد الرحمن للنبي ﷺ : هل بقي أحد من أهل هذه الصدقات ؟ فقال : "لا"^(٤) ، فإنهما حال ثبوتهما يحملان على اللحظة التي وقعت لكل واحد منهما ، وليس

(١) أبو داود ، السنن ، ١٢٦/٣ (٢٦٧٦) . وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود ٣٣٦/٢ (٤٦٠) .

وحسن السندي في الذهب المسبوك ٤٠٦ إسناده .

(٢) ابن هشام ، السيرة ١٦١/٤ ، ١٦٢ .

(٣) الواقدي ، المغازي ٩٩١/٣ .

(٤) الطبري ، التفسير ٢١٩/١٠ . وضعفه السندي في الذهب المسبوك ٢١٧ إسناده .

على الوقت كله . فإن الحاجة إلى مزيد من الصدقات ظلت قائمة حتى رحيل الجيش من المدينة ، وما تخلف عدد من المسلمين إلا نتيجة نقص المؤن اللازمة للسفر^(١) . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في الحديث الذي رواه ابن عساكر : وَحُمِلَ رِجَالٌ مِنْ فَقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، وَبَقِيَ أَنَاسٌ^(٢) .

روى مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : أتيت النبي ﷺ في رهط من الأشعرين نستحملة . فقال : "والله لا أحلكم . وما عندي ما أحلكم عليه" قال : فلبثنا ماشاء الله ، ثم أتى يابل ، فأمر لنا بثلاث ذود ، غُرُّ الذُّرَى . فلما انطلقنا قلنا - أو قال بعضنا لبعض - : لا يبارك الله لنا ، أتينا رسول الله ﷺ نستحملة ، فحلف أن لا يحملنا ، ثم حملنا . فأتوه فأخبروه . فقال : "ما أنا حملتكم ، ولكن الله حملكم ، وإني ، والله ! إن شاء الله ، لا أحلف على يمين ثم أرى خيراً منها ، إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير"^(٣) .

وجاءه رهط يسألونه الحملان ، فاعتذر إليهم بعدم وجود ما يحملهم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع^(٤) ، قال تعالى في حكاية ذلك عنهم : ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾^(٥) .

(١) انظر فيما يأتي مبحث (الذين تخلفوا عن غزوة تبوك) .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٠٨/١ ، ٤٠٩ نقلاً عن السدي ، الذهب المسبوك ١٩٣ وضعف إسناده .

وانظر : الهندي ، كبر العمال ٤٢٧/٢ من طريق ابن عساكر .

(٣) مسلم ، الصحيح ١٢٦٨/٣ (١٦٤٩) .

(٤) ابن هشام ، السيرة ١٦١/٤ .

(٥) التوبة (٩٢) .

الذين تخلفوا عن الغزوة :

لم تذكر المصادر أحداً من المهاجرين تخلف عن الغزوة عامداً ، وكل الذين تخلفوا من غير المنافقين الذين سبق ذكرهم هم من الأنصار ، إلا أن أعداد الذين تخلفوا منهم عن الغزوة لا تكاد تذكر مقارنة بأعداد الذين شاركوا فيها ، وقد كان في الأوس والخزرج في ذلك الوقت من لم يعتق الإسلام^(١) ، وكان فيهم منافقون كما تقدم .

ونحن إذ لا نستطيع أن نحدد بدقة أعداد المتخلفين عن الغزوة ، غير الثلاثة الذين ورد ذكرهم في القرآن ، يمكننا من خلال النقول التي وصلتنا الاجتهاد في التعرف على المزيد منهم ، وترتيبهم على سبيل العموم وفق التصنيف التالي :

أ) من عذر الله من النساء ، والصبيان ، والضعفاء ، ومن لا يملكون الرحلة أو المال لشرائها ، مثل : ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، والبكائين المذكورين سابقاً ، فهؤلاء جميعاً رفع الله عنهم الحرج ، قال تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحْدُثُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفْوَؤٌ رَحِيمٌ﴾^(٢) ، وهم الذين عناه النبي ﷺ بقوله : "إن بالمدينة رجالا ما سرتهم مسيراً ، ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم ، قالوا : يا رسول الله ! وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة ، حبسهم العذر"^(٣) .

(١) إلا أنه لم يبق منهم أحد في آخر عهد النبي ﷺ إلا دخل في الإسلام ، وما مات النبي ﷺ واحد منهم يظهر الكفر . انظر : ابن حجر ، الإصابة ٥/١ .

(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ٧٣٢/٧ (٤٤٢٣) . وتختلف الروايات في تعيين أعداد البكائين وأسماهم ، إلا أنها تتفق في صحة الواقعة . انظر : ابن هشام ، السيرة ١٦١/٤ . وابن حبيب ، المحبر ٢٨١ . ومغلطاي ، الإشارة ٣٣٦ .

(ب) من أمره النبي ﷺ بالتخلف ، وهم :

(١) علي بن أبي طالب رضي الله عنه خلفه ﷺ على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم^(١).

(٢) ومحمد بن مسلمة الأنصاري ، استعمله ﷺ على المدينة ، وقيل : استعمل سباع بن عُرْفُطَةَ^(٢) .

وهذا النوع من التخلف شاهد على فضلهم ، وأمانتهم ، وكفاءتهم ؛ التي أكسبتهم ثقة النبي ﷺ ، فجاء تكليفهم بهذه المهام ، في هذه الظروف العصيبة .
(ج) من تخلف ثم استدرك ولحق بالجيش بعد مسيره :

وهذا النوع من التخلف صوري لا حقيقة له ؛ لكونهم شاركوا في الغزوة من بدايتها إلى منتهاها ، إلا أنهم تأخروا في التهيؤ ، والاستعداد ، والخروج مع الجيش ، ثم أدركوه بعد خروجه .

منهم أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ، روى ابن إسحاق في السيرة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان لا يزال يتخلف الرجل في تبوك فيقولون : يا رسول الله تخلف فلان . فيقول : دعوه ، فإن يكن فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يكن غير ذلك فقد أراحكم الله منه . فتلوّم أبو ذر على بعيره فأبطأ عليه ، فأخذ متاعه على ظهره ، ثم خرج ماشيا ، فنظر ناظر من المسلمين ، فقال : إن هذا الرجل يمشي على الطريق . فقال رسول الله ﷺ : كن أبا ذر . فلما تأمل القوم ، قالوا : يا رسول الله ! هو - والله - أبو ذر . فقال : "يرحم الله أبا ذر يعيش وحده ، ويموت وحده ، ويحشر وحده"^(٣).

(١) ابن هشام ، السيرة ١٦٣/٤ . وأصله في الصحيحين وغيرهما ، انظر : مسلم ، الصحيح ١٨٧٠/٤ ، ١٨٧١ (٢٤٠٤) .

(٢) ابن هشام ، السابق ١٦٢/٤ . وابن سعد ، الطبقات ١٦٥/٢ ورجح استخلاف محمد بن مسلمة .

(٣) صححه الحاكم في المستدرك ٥٢/٣ (٤٣٧٣) وقال الذهبي في التلخيص : فيه إرسال . وضعف السندي في الذهب المسبوك ٣٠٤ ، ٣٠٥ إسناده . وانظر : ابن هشام ، السيرة ١٦٧/٤ . وابن حجر ، الإصابة

ومنهم أبو خيثمة الأنصاري الخزرجي ، مالك بن قيس بن ثعلبة^(١) ، رجع إلى داره يوماً بعد مسير رسول الله ﷺ بأيام ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له ماء ، وهيات له فيه طعاماً ، فلما دخل قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله ﷺ في الضح والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد ، وطعام مهياً ، وامرأة حسناء ، في ماله مقيم ، ما هذا بالنصف . ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألقى برسول الله ﷺ ، فهينا لي زاداً . ففعلنا . ثم قدّم ناضحه ، فارتحلته . ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ ، حتى أدركه حين نزل تبوك^(٢) .

ومنهم عمير بن وهب الجمحي ، وكان أدرك أبا خيثمة في الطريق يطلب رسول الله ﷺ ، فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنباً ، فلا عليك أن تتخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ ، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله ﷺ : كن أبا خيثمة ، قالوا : يا رسول الله ! هو والله أبو خيثمة ، فلما أناخ أقبل ، فسلم على رسول الله ﷺ ، فقال له رسول الله ﷺ : أولى لك يا أبا خيثمة ، فأخبر رسول الله ﷺ خبره ، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ، ودعا له بخير^(٣) .

٦٠/٧ (٣٨٢) . وقول النبي ﷺ " كن أبا ذر " دال على مرلة أبي ذر ؛ بحيث كان حاضراً في ذهنه ، يشغل باله ، ويحمل هم ، لم يطمئن ويهدأ حتى رآه مثلاً أمامه . وكذا قوله ﷺ في الحديث الذي بعده : " كن أبا خيثمة " .

(١) ابن حجر ، السابق ٣٣/٦ (٧٦٧٣) ، ٥٣/٧ (٣٥٦) ، وانظر : (٣٥٧) .

(٢) ابن هشام ، السابق ١٦٣/٤ ، ١٦٤ .

(٣) مسلم ، الصحيح ، ٢١٢٢/٤ (٢٧٦٩) . وابن هشام ، السابق ١٦٤/٤ .

(د) من تخلف بغير عذر ، لا عن نفاق ، وشك ، وارتياب ، وإنما تسويف ، وتفريط ، وتكاسل^(١) ، ربط هؤلاء أنفسهم في سوارى المسجد حتى تيب عليهم ، وهم المذكورين في قوله تعالى : ﴿وَمِنْ آخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٢) . قال الإمام الطبري : نزلت هذه الآية في المعترفين بخطأ فعلهم ، في تخلفهم عن رسول الله ﷺ ، وتركهم الجهاد معه ، والخروج لغزو الروم ، وإن الذين نزل ذلك فيهم جماعة أحدهم أبو لبابة^(٣) . وقال ابن كثير : وهذه الآية وإن كانت نزلت في أناس معينين ، إلا أنها عامة في كل المذنبين ، الخطائين ، المخلطين ، المتلوثين^(٤) . قيل كانوا ثلاثة . وقيل أربعة ، ومال إليه الحافظ ابن حجر وقوى إسناده . وقيل : أكثر . وقيل أقل . وذكروا منهم أيضاً : أوس بن خدام ، وثعلبة بن وديعة^(٥) .

(هـ) من تخلف بغير عذر ، لا عن شك وارتياب ونفاق ، وإنما أبطأت بهم النية ؛ تسويفاً ، وتفريطاً ، وتكاسلاً ، واعتقاداً أن النبي ﷺ لن يعاتبهم ؛ وخاصة أن منهم من تخلف من قبل عن معركة بدر ولم يعاتبه ﷺ^(٦) ، وهؤلاء اعترفوا للنبي ﷺ بذنبهم وتخلفهم من غير عذر ، إلا أنهم لم يربطوا أنفسهم في السوارى كما فعل أبو لبابة وأصحابه ، وهم

(١) ابن هشام ، السيرة ١٦٢/٤ . والطبري ، التفسير ١٧/١١ - ٢١ . وابن كثير ، التفسير ٣٨٥/٢ .

(٢) التوبة (١٠٢) .

(٣) الطبري ، السابق ٢١/١١ .

(٤) ابن كثير ، السابق ٣٨٥ .

(٥) انظر : ابن حجر ، الإصابة ٨٢/١ (٣١٩) ، ٨٥ (٣٣٠) ، ٢٠٧ (٩٢٨) . ١٤٤/٦ (٨٢٤٨) ،

٣١٥ (٩١١٣) .

(٦) مسلم ، الصحيح ٢١٢١/٤ (٢٧٦٩) .

: كعب بن مالك^(١)، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، وهم المذكورين في قوله تعالى

﴿وَمَّا أَخْرُوتُمْ مَرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٢) ،

فأمر النبي ﷺ بهجرهم ، فتكرت لهم الأرض ، وضائق عليهم بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم ، وبعد أربعين ليلة أمر نساءهم أن يعتزلنهم ، فزاد ابتلاؤهم ومصائبهم .

وخص كعب بن مالك ﷺ بمزيد ابتلاء ، فقد كان أشب الثلاثة وأجلدهم^(٣)؛

فجاءه وهو في غمرة الابتلاء خطاب من ملك غسان يطلب منه أن يلحق به ؛ حيث العز والمنعة والتمكين والنصرة ، فسَجَرَ الخطاب في التنور .

وبعد خمسين ليلة من الابتلاء والفتنة أنزل الله توبته عليهم قرآناً يتلى إلى يوم

القيامة ، قال تعالى : ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ

وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ

هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٤) .

بعض أصحاب المهام في الغزوة :

أوكل النبي ﷺ لبعض أصحابه ﷺ مهاماً توحى بمكانتهم ، وتدلل على تميزهم ،

منها: حمل الرايات والألوية في المعركة ، ومن المعلوم أن للرايات والألوية قيمة رمزية

كبيرة ، حيث ارتفاعها يعطي معنى النصر والسمود في المعركة ، وسقوطها يعني الهزيمة

(١) البخاري ، الصحيح مع الفتح ٧/٧١٨ (٤١١٨) . ومسلم ، الصحيح ٤/٢١٢٤ (٢٧٦٩) .

(٢) التوبة (١٠٦) .

(٣) مسلم ، الصحيح ٤/٢١٢٤ (٢٧٦٩) .

(٤) التوبة (١١٨) .

والانكسار ، ولهذا فإنها لا تعطى إلا لمن كان محل ثقة ، ومتحلياً بالقوة ، والأمانة ، والشجاعة ، ورباطة الجأش . والقائد الأعلى للجيش هو الذي يتولى تعيين هؤلاء .

والصحابه الذين أسند إليهم حمل الرايات والألوية في غزوة تبوك هم : أبو بكر رضي الله عنه ، وبيده لواء رسول الله ﷺ الأعظم . والزبير بن العوام رضي الله عنه ، وبيده راية رسول الله ﷺ العظمى . وأسيد بن حضير رضي الله عنه ، وبيده راية الأوس . وأبو دجانة سماك بن خرشة رضي الله عنه ، وبيده لواء الخزرج ، ويقال الحباب بن المنذر رضي الله عنه .

وراية بني مالك بن النجار مع عمارة بن حزم ، ثم صارت إلى زيد بن ثابت . وراية بني سلمة مع معاذ بن جبل . وراية بني عمر بن عوف مع أبي زيد^(١) .

وأمر رسول الله ﷺ كل بطن من الأنصار أن يتخذ لواءه ورايته . والقبائل من العرب فيها الرايات والألوية ، أي أن لبعضهم راية ، ولبعضهم لواء^(٢) .

ومنها قيادة بعض المهام القتالية ، فقد بعث ﷺ في تبوك خالد بن الوليد رضي الله عنه على رأس قوة من أربعمائة فارس إلى دومة الجندل ، فأسر ملكها أكيدر بن عبد الملك ، وقتل أخاه حسان^(٣) .

وتكليف خالد رضي الله عنه بهذه المهمة في هذا الوقت ، يدل على كفاءته رضي الله عنه ، وثقة النبي ﷺ فيه ، مع أنه رضي الله عنه لم يسلم إلا بعد الحديبية وقبل الفتح^(٤) ، إلا أن كفاءته ثبتت في مؤته ، التي وقعت في شهر جمادى الأولى من العام الثامن الهجري ، حين تولى قيادة الجيش ، بعد استشهاد قاداته الثلاثة ، وتمكن بحسن إدارته من تفادي مزيد من الخسائر في

(١) الواقدي ، المغازي ٣/ ٩٩٦ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ .

(٢) الحلبي ، السيرة ١٠٢/٣ . وانظر في الفرق بين الراية واللواء التراتيب الإدارية للكتاني ٣١٧/١ ، ٣١٨ .

(٣) ابن هشام ، السيرة ١٦٩/٤ ، ١٧٠ .

(٤) ابن هشام ، السابق ٢٩٠/٣ . وابن كثير ، التفسير ٣٠٦/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٩٨/٢ (٢١٩٧) ،

صفوف المسلمين^(١)، مما أهله لتولي مناصب قيادية لا حقاً ، وهو أيضاً شاهد على فضله
ﷺ ومناقبه.

كما بعث رسول الله ﷺ من تبوك علقمة بن مَجَزَّر المَذَلْجِي ﷺ إلى فلسطين^(٢).

فضائل بعض أصحاب النبي ﷺ الذين ظهرت في الغزوة :

نقلت إلينا المصادر مواقف لبعض الصحابة ﷺ مع رسول الله ﷺ في هذه الغزوة
تدل على ميزة لهم وفضل ، جديرة بالتنويه بها .

منها أن النبي ﷺ أُرْدِف خلفه في هذه الغزوة يوماً وهو في تبوك سهيل بن بيضاء
الأنصاري ﷺ ، وتحدث إلى الناس وهو رديفه ، والناس ينظرون إليه^(٣)، ولا شك أن هذه
فضيلة لهذا الصحابي ﷺ ؛ حيث حاز فضل الركوب خلف رسول الله ﷺ ، وعلى دابته ،
وربما مس جلده جلده ، ولا شك أن هذا لا يتيسر لكل أحد.

ومنها أن الله نور أصابع حمزة بن عمرو الأنصاري ﷺ ؛ ليتمكن من التقاط
متاع رسول الله ﷺ حين سقط عن الراحلة بسبب المنافقين ، في طريق عودته من تبوك^(٤).
وكان المغيرة بن شعبة ﷺ يرافق النبي ﷺ بطهوره يوماً ، وقد تخلف في قضاء
حاجته ﷺ ، فلما توضأ ﷺ ركب وركب المغيرة معه ، فأدركا القوم وهم في الركعة
الثانية من صلاتهم^(٥).

(١) ابن هشام ، السابق ١٥/٤ .

(٢) ابن عساكر ، تاريخ دمشق ٤٠٨/١ ، ٤٠٩ . نقلاً عن السدي ، السابق ١٩٤ وضعف إسناده .
والهندي ، كثر العمال ٤٢٩/٢ من طريق ابن عساكر .

(٣) أحمد ، المستد ١٥/٢٥ (١٥٧٣٨) وقال محققه : مرفوعه صحيح لغيره .

(٤) ابن سعد ، الطبقات ٣١٥/٤ . وصحح السدي في الذهب المسبوك ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، وضعف
إسناده.

(٥) مسلم ، الصحيح ٢٢٨/١ - ٢٣١ (٢٧٤) .

وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يصلي بالناس ، فلما أحس بالنبي ﷺ ذهب يتأخر ، فأوماً إليه ، فصلى ، فلما سلم قام النبي ﷺ يتم الركعة التي فاتته ، وقام المغيرة رضي الله عنه ^(١).

وظهرت لسعد بن معاذ رضي الله عنه في غزوة تبوك منقبة ، وإن كان قد توفي قبل ذلك في غزوة بني قريظة ، من العام الخامس الهجري ، إلا أن النبي ﷺ أخبر أصحابه عن مناديل سعد في الجنة وهو في تبوك ، وذلك عندما تعجب الصحابة رضي الله عنهم من نعمة قباء كان يلبسه صاحب دومة الجندل (أكيدر) عندما أسر وجيء به إلى النبي ﷺ ، فقال ﷺ مخاطباً أصحابه رضي الله عنهم : "أعجبون من هذا ؟! فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا" ^(٢).

وتفيد بعض النصوص أن معاذ بن جبل الأنصاري رضي الله عنه كان ملازماً للنبي ﷺ في بعض أوقات الغزوة ، وأن النبي ﷺ قال له يوماً : " يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً " يعني عين تبوك ^(٣).

الذين استشهدوا في الغزوة:

ومع أنه لم يكن في هذه الغزوة التحام ولا قتال ، فقد كتب الله الشهادة على عدد ممن حضر الغزوة من أصحاب النبي ﷺ ، منهم : زيد بن سعة الحبر الإسرائيلي ، وهو القاتل : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه محمد حين نظرت إليه إلا

^(١) السابق .

^(٢) البخاري ، الصحيح مع الفتح ، ١٥٣/٧ (٣٨٠٢) . ومسلم ، السابق ٤/ ١٩١٦ ، ١٩١٧ (٢٤٦٨) ، ٢٤٦٩ .

^(٣) مسلم ، السابق ٤/ ١٧٨٥ (٧٠٦) .

خصلتين لم أخبرهما منه ؛ يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلاّ حلماً . ثم أسلم ، وشهد مع النبي ﷺ مشاهدته ، واستشهد في تبوك مقبلاً غير مدبر^(١) .

ومنهم : عبد الله بن سعد بن سفيان الأنصاري ، توفي منصرف رسول الله ﷺ من تبوك^(٢) .

ومنهم : عبد الله بن عبد فهم المزني ، ذو البجادين ، قال ابن مسعود : قمت في جوف الليل في غزوة تبوك ، فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر ، فاتبعتها ، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين قد مات ، فإذا هم قد حفروا له ورسول الله ﷺ في حفرتة ، فلما دفناه قال : "اللهم إني أمسيت عنه راضياً فأرض عنه"^(٣) .

الأجور والحسنات التي خص الله بها أهل غزوة تبوك :

أخبر تعالى في غزوة تبوك عن العديد من الجوائز والمكافآت للذين شاركوا في هذه الغزوة ، وقد لا تكون خاصة بأهل غزوة تبوك ، وإنما عامة في كل من عمل عملهم ، كما أنها قد تشمل كل من اتصف بصفاتهم حتى وإن كان قبل الغزوة ، إلاّ أن نزولها في تبوك ، وفي سورة التوبة التي تضمنت أحداث غزوة تبوك يجعل لأهل الغزوة منها القدر المعلا والنصيب الأوفر .

(١) الحاكم ، المستدرك ٣/ ٧٠٠ ، ٧٠١ (٦٥٤٧) وصححه . وأنكر الذهبي في التلخيص تصحيحه . وانظر : ابن حجر ، الإصابة ٢٨/٣ (٢٨٩٨) ، وقال : رجال الإسناد موثقون . ورده الألباني في السلسلة الضعيفة ٥١٧/٣ (١٣٤١) .

(٢) ابن حجر ، الإصابة ٧٨/٤ (٤٧٠٣) .

(٣) ابن هشام ، السيرة ١٧١/٤ . وابن حجر ، الإصابة ٩٩/٤ (٤٧٩٥) وقال : رواه البيهقي ورجاله ثقات إلاّ أن فيه انقطاعاً . وقال السندي في الذهب المسبوك ٣٧٧ : لم أجد إسناداً صحيحاً سائماً عن الكلام في وفاته .

فقد وصف تعالى أصحاب النبي ﷺ الذين شاركوا في هذه الغزوة بالصدق ، وأمر بمتابعتهم ، والافتداء بهم ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) . نقل الطبري من أقوال المفسرين في المراد بالصادقين في الآية أنهم أبو بكر وعمر . وقيل النبي ﷺ والمهاجرين . وقيل النبي ﷺ وأصحابه (٢) .

كما نعتهم بالفلاح ، ووعدهم الأجر العظيم ، قال تعالى : ﴿ ... وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

وبشرهم بالجنة والفوز العظيم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَرِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِيَعْيِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٤) .

واعتبر كل جهد بذلوه ، ومشقة لحقت بهم ؛ من ظمأ ، ونصب ، وجوع . ومال أنفقوه ، كثيراً كان أو قليلاً . وكل خطوة مشوها ، وموقف اتخذوه ، أغاظ أعداء الله ، ونال منهم ، اعتبر كل ذلك إحسان ، وعمل صالح ، استحقوا عليه الأجر العظيم ، والثواب الجزيل ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِنًا يَفِيضُ الْمَڪْفَارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ

(١) التوبة (١١١) .

(٢) الطبري ، التفسير ٧٤/١١ ، ٧٥ .

(٣) التوبة (٨٨) .

(٤) التوبة (١١١) .

لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُفْقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ يَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴿١﴾

وتجاوز لهم عن كل هفوة ، أو زلة ، أو خطأ وقع منهم ، بما فيهم رسول الله ﷺ ، والمهاجرين ، والأنصار ؛ الذين بادروا للاستجابة أول الأمر ، والذين تشاقلوا ، بل والذين تخلفوا عن الغزوة أيضاً : ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿١٢٠﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَىٰ يَوْمِئِذٍ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ﴿١٢١﴾ ﴿٢﴾

الموقف من أصحاب غزوة تبوك :

الموقف من الصحابة الذين شاركوا في غزوة تبوك فرع عن الموقف من الصحابة عموماً .

والصحابة رغم تفاوتهم في الفضل والمترلة والطبقة فكلهم عدول ، بتعديل الله لهم ، قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي

(١) التوبة (١٢٠ ، ١٢١) .

(٢) التوبة (١١٧ ، ١١٨) .

التَّوْبَةُ وَمَثَلُهُ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَنْجٍ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَتَازَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ
الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا
عَظِيمًا ﴿١﴾. وقال تعالى : ﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ
اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (٢). وقال تعالى : ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ
الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا
قَرِيبًا﴾ (٣). وقال ﷺ : " خير الناس قرني ثم الذين يلوهم ثم الذين يلوهم " (٤).

وصيانة لمقام أصحاب رسول الله ﷺ من الوقعة فيهم ؛ نتيجة فهم غير صحيح ،
أو معنى مغلوط قد يتسرب إلى الأذهان ، بسبب المعلومات أو التعليقات الواردة فساد ذكر
نتفاً من النقول المروية عن بعض السلف فيما يجب معهم من الأدب ، وما يجب لهم من
التوقير والاحترام ؛ فإن البحث العلمي الموضوعي لا يمنع منه أحد ، إلا أنه ينبغي أن
يكون في الإسلام منضبطاً بضوابط وحدود الشريعة على فهم سلف الأمة ، أما البحث
المجرد من التعاليم والقيم والأخلاق فهي طريقة البحث العلمي الغربي ، وهي طريقة مع
كونها نظرية وعصية على التطبيق العملي فهي أيضاً غير صحيحة (٥).

(١) الفتح (٢٩) .

(٢) التوبة (١٠٠) .

(٣) الفتح (١٨) .

(٤) مسلم ، الصحيح ١٩٦٢/٤ (٢٤٣٣) .

(٥) السلمي ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ١٣٦-١٤٦ .

قال الإمام أحمد : (ومن السنة ذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين ، والكف عن الذي جرى بينهم ، فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو أحداً منهم فهو مبتدع رافضي ، جهم سنة ، والدعاء لهم قرينة ، والاقتداء بهم وسيلة ، والأخذ بآثارهم فضيلة^(١)).

وقال أبو زرعة الرازي : (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ؛ وذلك أن رسول الله ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ، ليبتلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى ، وهم زنادقة^(٢)).

وقال أبو جعفر الطحاوي : (وانحأ أصحاب رسول الله ﷺ ، ولا نفرط في حب أحد منهم ، ولا تنبرأ من أحد منهم ، ونبغض من يبغضهم ، وبغبر الخير يذكركم ، ولا نذكركم إلا بخير ، وحبهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان^(٣)).

وقال ابن تيمية : (ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله في قوله ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤) ، وطاعة للنبي ﷺ في قوله : "لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"^(٥)).

(١) عبد المحسن العباد ، الانتصار للصحابة الأخيار ١٣٣ . ومنه كل النقول الأخرى المذكورة (١٣٣-١٣٩) إلا أن تلك أعدت إلى مصادرها الأصلية ، وكتاب السنة لأحمد غير متوفر لدي حالياً .

(٢) الخطيب البغدادي ، الكفاية في علم الرواية ٤٩/١ .

(٣) ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية ٤٦٤ .

(٤) ابن تيمية ، العقيدة الواسطية (بشرح الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ) ١٩٦-١٩٩ ، والآية رقمها

(١٠) من سورة الحشر . والحديث في صحيح البخاري ٢٥/٧ (٣٦٧٣) . وصحيح مسلم ١٩٦٧/٤ ،

١٩٦٨ (٢٥٤٠ ، ٢٥٤١).

وقال الحافظ ابن حجر : (واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من حروب ولو عرف الحق منهم ؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد وقد عفى الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجراً واحداً وأن المصيب يؤجر أجرين)^(١).

ومن هنا فلا يجوز اتخاذ الآيات والآثار المروية في عتاب^(٢) من تناقل عن الغزوة أو تخلف عنها سبيلاً للنيل منهم ، أو الطعن فيهم ، بعد نزول التوبة العامة على كل من شارك في الغزوة من المسلمين ، بما فيهم رسول الله ﷺ ، والمهاجرين ، والأنصار ، والذين تناقلوا ، بل والذين تخلفوا عن الغزوة أيضاً ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُمْ يَهْمُرُونَ وَفَّ رَحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾^(٣). بل قد صارت هذه التوبة من أعظم الآيات الدالة على فضل أصحاب رسول الله ﷺ عامة .

فلا يطعن فيهم بعد ذلك ، ويتطاول عليهم إلا مبتدع ضال مودع ، قد أعمى الله قلبه وبصرته ، لم يبلغ مقامهم ومنازلهم ، فقام يرشقهم بقالات السوء والطعون التي لا تزيدهم إلا أجراً ، وعزاً ، ورفعةً ، وقدراً ، ولا تزيد أصحابها إلا ضعةً ، وهواناً ، وسوءاً ، وقهراً .

(١) فتح الباري ١٣ / ٣٧ ، شرح حديث رقم (٧٠٨٣).

(٢) القرطبي ، التفسير ٨ / ١٢٨ . وابن كثير ، التفسير ٢ / ٣٥٧ .

(٣) التوبة (١١٧ ، ١١٨) .

الخاتمة

هكذا كانت غزوة تبوك أصعب اختبار تعرض له أصحاب النبي ﷺ في هذه المرحلة ، تجلت فيه تضحياتهم ، وثبت فيه صدق إيمانهم ومحبتهم ، وحسن صحتهم ، وإخلاصهم وولاءهم لله ورسوله ، وصلابة مواقفهم ، وظهرت فضائلهم عامة وخاصة ، رغم الظروف التي مرت بهم ؛ من أجواء النفاق ، وحرارة الجو ، وبعد المسافة ، وصلف العدو ، وشدة الجوع والعطش والنصب ، وضعف الحال والإمكانات .

وسطروا أروع الأمثلة في الصبر والتحمل والتضحية والفداء ، وفي البذل والإيثار والإنفاق ، وفي الألفة والمحبة والإخاء ، وظهرت آثار التربية النبوية في أحسن صورها ، وأبهى حللها ، بشكل لا يسعنا معه إلا إكبار ذلك الدور ، وإجلال تلك التضحيات ، وإعظام تلك المواقف ، فرضي الله عن أصحاب محمد ﷺ وأرضاهم .

كما ظهر فيها دنس النفاق ، ورجس المنافقين ، في أقبح صورة ، وأبشع منظر ، لم يرع حرمة للزمان الذي شرف بمحمد ﷺ ، ولا للمكان الذي وطأته قدماه ، فأرغى وأزبد ، وصال وجال ، وأعمل معول الهدم والتخريب والإفساد ؛ فلأن يكون في غيره من الأزمان والأماكن حاضراً فغير بعيد ولا مستغرب ، ولهذا وجب التنبيه إليه ، والحذر منه ، والتصدي له ؛ بالصدق والإخلاص في القول والعمل ، والثبت على الحق ، والحرص على المبادئ والقيم ، والصبر على المكاره ، والتضحية ، والحكمة والعقل ، والمداورة واللين ، والحزم والانضباط ، كل بحسبه ، وما يوافقه من ذلك .

فهرس المصادر والمراجع

- ابن الأثير عز الدين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد :
- (١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحاراني الدمشقي :
- (٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ ، حققه وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- (٣) العقيدة الواسطية ، شرح محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، كتبها ورتبها محمد بن عبد الرحمن بن قاسم ، ط ١ ، الرياض ، ١٤٢٨ .
- ابن الجوزي أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد :
- (٤) زاد المسير في علم التفسير ، المكتب الإسلامي ، ط ١ ، دمشق ، ١٣٨٥ هـ .
- ابن حجر أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي الكناي العسقلاني :
- (٥) الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- (٦) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب وقصي محب الدين الخطيب ، دار الريان للتراث ، ط ١ ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .
- ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن عبد الله بن سعيد :
- (٧) أسماء الصحابة رضي الله عنهم وما لكل واحد منهم من العدد ، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني ، مكتبة القرآن ، القاهرة .
- ابن عبد البر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد :
- (٨) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (وهو بهامش كتاب الإصابة للحافظ ابن حجر) ١ ، تحقيق طه محمد الزيني ، مكتبة ابن تيمية ، ط ١ .
- (٩) الدرر في اختصار المغازي والسير ، تحقيق شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط ٢ ، القاهرة .
- ابن أبي العز الحنفي علي بن علي بن محمد الدمشقي :
- (١٠) شرح العقيدة الطحاوية ، مكتبة دار البيان ، ط ١ ، دمشق ، ١٤٠١ هـ .

ابن القيم شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي :

(١١) بدائع الفوائد ، تحقيق هشام عبد العزيز عطا ، وعادل عبد الحميد العدوي ، وأشرف أحمد ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ط ١ ، مكة المكرمة ، ١٤١٦ - ١٩٩٦ .

ابن كثير أبو الفداء إسماعيل القرشي الدمشقي :

(١٢) البداية والنهاية ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٢هـ .

(١٣) تفسير القرآن العظيم ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٠هـ .

ابن هشام أبو محمد عبد الملك :

(١٤) السيرة النبوية ، تحقيق وضبط وشرح مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

أبو جعفر محمد بن حبيب :

(١٥) المهر ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي :

(١٦) سنن أبي داود ، تعليق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، دار الحديث ، حمص - منورية .

أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى :

(١٧) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، المعروف بتفسير أبي السعود ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٤ ، بيروت ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

أحمد بن حنبل الشيباني :

(١٨) المسند ، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد وآخرون ، مؤسسة الرسالة ، ط ١ ، بيروت ، ١٤١٣هـ .

أكرم ضياء العمري :

(١٩) المجتمع المدني في عهد النبوة (الجهاد ضد المشركين) ، مطبوعات الجامعة الإسلامية ، ط ١ ، المدينة المنورة ، ١٤٠٤هـ .

الألباني محمد بن ناصر الدين :

(٢٠) تحقيق كتاب صحيح ابن خزيمة ، وتحقيق أيضاً محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٣٩٠ - ١٩٧٠ .

(٢١) تحقيق كتاب فقه السيرة لمحمد الغزالي ، دار الكتب الحديثة ، ط ٧ ، القاهرة ، ١٩٧٦ م.

(٢٢) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة ، مكتبة المعارف ، ط ٤ ، الرياض ، ١٤٠٨ هـ .

(٢٣) صحيح الجامع الصغير وزيادته ، المكتب الإسلامي ، ط ٣ ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .

(٢٤) صحيح سنن الترمذي ، مكتبة المعارف ، ط ١ ، الرياض ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

(٢٥) صحيح سنن أبي داود ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، ط ١ ، الكويت ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .

(٢٦) ضعيف سنن أبي داود ، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، ط ١ ، الكويت ، ١٤٢٣ هـ .

البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل :

(٢٧) الصحيح = فتح الباري

البرهان فوري علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي :

(٢٨) كثر العمال في سنن الأقوال والأفعال ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٣ هـ .
البلادي عاتق بن غيث :

(٢٩) معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ، دار مكة ، ط ١ ، مكة المكرمة ، ١٤٠٢ هـ .

البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر :

(٣٠) فتوح البلدان ، نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة .

الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة:

(٣١) الجامع الصحيح ، المعروف بسنن الترمذي ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ .

الحاكم النيسابوري أبو عبد الله محمد بن عبد الله:

(٣٢) المستدرک علی الصحیحین ، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤١١هـ .

الحلبي علي بن برهان الدين:

(٣٣) السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ، المعروف بإنسان العيون ، دار المعرفة ، بيروت.

الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله:

(٣٤) معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ١٣٩٩هـ .

الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي:

(٣٥) الكفاية في علم الرواية ، تحقيق أبو عبد الله السورقي ، إبراهيم حمدي المدني ، المكتبة العلمية ، المدينة المنورة .

الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان:

(٣٦) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (قسم المغازي) ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

الزرقاني محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان:

(٣٧) شرح موطأ الإمام مالك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١١هـ .

السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر :

(٣٨) الإتقان في علوم القرآن ، قدم له وعلق عليه محمد شريف سكر ، دار إحياء العلوم ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

(٣٩) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، تحقيق وتعليق أحمد عمر هاشم ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

٤٠) الخصائص الكبرى ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

الصالحى محمد بن يوسف الشامي الدمشقي :

٤١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي

محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤١٤هـ .

الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي:

٤٢) المعجم الأوسط ، تحقيق محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، ط ١ ، الرياض ،

١٤٠٥هـ .

الطبري أبو جعفر محمد بن جرير:

٤٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف بتفسير الطبري ، ضبط وتعليق محمود

شاكر ، دار إحياء التراث العربي ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٢١هـ .

عبد الباسط بدر :

٤٤) التاريخ الشامل للمدينة المنورة ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ط ١ ، المدينة المنورة ،

١٤١٤هـ .

عبد القادر بن حبيب الله السندي :

٤٥) الذهب السبوك في تحقيق روايات غزوة تبوك ، مكتبة المعلا ، الكويت ،

١٤٠٦هـ .

عبد المحسن بن حمد العباد البدر :

٤٦) الانتصار للصحابة الأخيار في رد أباطيل حسن المالكي ، دار ابن عفان ، ط ١ ،

القاهرة ، ١٤٢٢هـ .

العيني بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد:

٤٧) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، ضبط وتصحيح عب الله محمود محمد عمر ،

دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٢١هـ .

فرانز روزنثال :

٤٨) علم التاريخ عند المسلمين ، ترجمة صالح أحمد العلي ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ،

بيروت ، ١٤٠٣هـ .

القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري:

(٤٩) الجامع لأحكام القرآن ، المعروف بتفسير القرطبي ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، ط ٤ ، بيروت ، ١٣٢٢هـ .

الكتاني عبد الحفي :

(٥٠) نظام الحكومة النبوية ، المسمى التراتيب الإدارية ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب:

(٥١) الحاوي الكبير ، دار الفكر ، بيروت ، ١٩٩٣م-١٤١٤هـ .

المباركفوري صفى الرحمن:

(٥٢) الرحيق المختوم ، دار مكتبة وليد الكعبة ، ط ١ ، ١٤٠٠هـ .

الحب الطبري أبو جعفر أحمد :

(٥٣) الرياض النضرة في مناقب العشرة ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٠٥

هـ .

محمد أمحزون :

(٥٤) البعد الاستراتيجي للخطة النبوية في مواجهة الروم :

[http://www.suwaidan.com/vb1/showthread.p](http://www.suwaidan.com/vb1/showthread.php?t=12773)

hp?t= . (٢٠١١/٧/٩) (٩:١٧ ص) ١٢٧٧٣

محمد بن سعد بن منيع الزهري :

(٥٥) الطبقات الكبرى ، تقديم إحسان عباس ، دار بيروت ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

محمد بن صامل العلياني السلمي :

(٥٦) منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، دار طيبة ، ط ١ ، الرياض ، ١٤٠٦هـ .

مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري أبو الحسين:

(٥٧) الصحيح ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،

١٤١٣هـ .

مغلطاي بن قليج :

٥٨) الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء ، تحقيق محمد نظام الدين الفتّيح ، دار القلم ، ط ١ ، دمشق ، ١٤١٦هـ .

المقرئزي تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد:

٥٩) إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، تحقيق وتعليق محمد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ ، بيروت ، ١٤٢٠هـ .

مهدي رزق الله أحمد :

٦٠) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ط ١ ، الرياض ، ١٤١٢هـ .

النسائي أحمد بن شعيب :

٦١) فضائل الصحابة ، تحقيق ودراسة فاروق حمادة ، دار الثقافة ، ط ١ ، الدار البيضاء ، ١٤٠٤هـ .

الواقدي محمد بن عمر:

٦٢) المغازي ، تحقيق مارسدن جونز ، عالم الكتب ، ط ٣ ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .